الى آباء دير الدومنيكان
وأخص بالذكر الأب الكريم
[illegible] لما تقدمه لي دائماً من مساعدات قيمة
دكتورة
علية الجنزوري



# الإمبراطورة إيرين

تأليف
دكتورة علية عبد السميع الجنزوري
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية البنات - جامعة عين شمس



١٩٨١

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية

## بسم الله الرحمن الرحيم

## تقـــديم

يسعدنى أن أقـــدم هذا الموضـــوع الى المهتمين بدراسة تاريخ العصور الوسطى الأوروبية بوجه عام وبتاريخ الدولة البيزنطية بوجه خاص ٠ ويسرنى أن أنوه أنه سيكون بعون الله تعـــالى حلقة أولى تتبعها بمشيئة الله حلقات أخرى أكبر وأكثر عمقا فى تاريخ تلك الدولة الذى أعتبره بحق همزة وصل مهمة بين تاريخ أوروبا العصور الوســـطى وتاريخ الشرق الاسلامى فى العصور الوسطى ٠

والله ولى التوفيق ، والكمال لله وحده

دكتورة
**عليه الجنزورى**

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ـ ت ٨٦٤٨٧٠
رقم الايداع ١٩٨١/٤٠٠٨
ترقيم دولى ٧ ـ ٠٨٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

## بسم الله الرحمن الرحيم

### قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه

« استعيذوا بالله من شرار النســـاء وكونوا عن خيارهن على حذر » (١) .

صدق عمر رضى الله عنه وأرضاه ، فالواقــع أنه اذا كان هناك رأى قائل بأن وراء كل عظيم امرأة ، فهذا ليس معناه أن الخير والســـلام فقط هو كل ما يستحوذ على تفكير النساء بل ان هناك بعض النساء اللائى شذذن وخرجن عن نطاق العمل من أجل الخير ـ تحت ظروف معينة ـ وكان كل همهن تحقيق غــاية الخير لأنفسهن ولمن يرضين عنه ، ثم غاية الشر لمن لا يرضين عنه أو ينازعهن مصلحة ما ـ حتى ولو كان أقرب المقربين اليهن ـ فلذات أكبادهن ـ أبنــائهن . وهــذا فى رأينـــا منتهى الانحــراف عن الصراط المستقيم .

كلما قرأت أو حاضرت شـــيئا عن تاريخ الدولة البيزنطية ، وكلما تعرضت بالذات لشىء من تاريخ المرأة فى أى بقعة من بقاع العالم ، أجد خيـــال تلك

---

(١) ابن قيم الجوزية : أخبار النساء ، ص ١٤٤ .

الامبراطورة ماثلا أمامى يفرض نفسه على تفكيرى ، وكأنها تدعونى للتحـــدث معها عن قرب عما كان يتصارع بداخلها من مقومات العظمـــة ، وعواطف الأمومة التى أطاحت بها كلية ـ فى رأى شعبها وفى رأى غيـــرهـم ـ حـــادثة فـــريدة فى تاريخ تلك الامبراطورة ٠

هل كانت الامبراطورة ايرين ( ٧٨٠ ، ٧٩٧ ـ ٨٠٢ م/ ١٦٤، ١٨١ ـ ١٨٦هـ ) (٢)، فى كامل قواها العقلية حينما حكمت بالظلام الدائم على ابنها ، قنسطنطين السادس ، بسمل عينية ! أم أنها كانت تنفذ فيه حكمها العادل نتيجة لتصرفات شائنة صدرت عنه وصلت الى حد ضرورة قصاصها منه ـ وهو ابنها وجزء منها ـ على تلك الطريقة البشعة !

لقد كان لتلك الامبراطورة وزنها وجبروتها ٠ كانت لها سياستها ودبلوماسيتها الناجحة كامبراطورة ، بل كامبراطور ممثل للغرب الأوروبى فى وقت خلى فيـه الكرسى الامبراطورى فى الغرب من امبراطور يحميه، وكانت الامبراطورية الوحيدة القادرة على الوقوف فى وجه العالم الاسلامى هى الامبراطورية البيزنطية التى تمثل شرق أوربا فقط ، وعلى عرشها كانت تجلس

2. George Ostrogorsky : History of the Byzantine State,p. 597

زامبور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، ص ٥٢٤ ٠



ايرين بكامل ثقلهـا وذكائها تديرها وتدبر أمورها ، وتوجه الجيوش للحرب وقتما تدعو الحاجة ، وتعقد الهدنات بكل روية فى الوقت المناسب أيضا ٠ وخير دليل على ذلك ما حدث بينها وبين الخليفة العباسى هارون الرشيد ٠ ( ١٦ ربيع الأول ١٧٠ هـ ـ ٣ جمادى الآخرة ١٩٣ هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٨ م ) (٣) ٠

وحتى عندما عادت للغرب عظمته المفقودة سياسيا بتتويج شارلمان امبراطورا للغرب ٨٠٠م (٤) / ١٨٣ هـ ، زاد تمسكها بنفوذها كامبراطورة وحيدة لأوربا ٠ وما كان من شارلمان الا أن أسرع بارسال ســـفارة اليها بغرض الزواج منها وجمع شمـــل أوربا شرقا وغربا ٠ لكن توقيتها لم يكن موفقا ، فقد قامت ثـــورة فى القسطنطينية أطاحت بحكم ايرين ، واعتلى العرش البيزنطى الامبراطور نقفور (٥) ٠

والواقع أن طلب شارلمان الزواج من ايرين يعتبر فى حد ذاته غاية فى هيبة جانبها ، والا لانقلب الوضع وبدلا من أن تصل الى الشرق سفارة تحمـــل رايات

(٣) زامبور : معجم الانساب ، ص ٦ ، ص ٥٢٤ ٠ وقد اعتمدت عليه فى مقابلة كافة السنوات الميلادية بالهجرية ٠ أما السنوات الميلادية لحكم غالبية أباطرة الدولة البيزنطية من كتاب G. Ostrogorsky

4. A.A. Vasiliev : Histoire de L'Empire Byzantin, T.I.P. 352.

5. G.Ostrogorsky : Op.cit, p. 186, Lowis Bréhier : Vie et mort de Byzance, p. 94.

الأفراح ، كان من الممكن أن تصل الى الشرق سفارات الحرب بطبولها المدوية ٠

اذا فما سر جبروت تلك الامبراطورة؟ والتى لقبناها وفقا لما ورد فى بعض المصادر والمراجع الأجنبية بلقب « امبراطور » (٦) لا امبراطورة ! بل ان بعض المصادر والمراجع أشارت الى أنها « لبست زى الرجال » (٧) أيضـــا ٠

ولكى نضع النقاط على الأحرف ، لابد لنا من الغور داخل تلك الشخصية لنتعرف على جوانبها المختلفة ، وذلك يتطلب منا أن نبحث فى النقاط التالية :

١ – من هى ايرين وما هى أهم صفاتها الشخصية ٠

٢ – كيفية وصولها للحـــكم ، ومدى نجاحها فى تصريف شئون الحكم سياسيا وعسكريا ٠

٣ – ميولها الدينية وكيف سخرتها لخدمة مصالحها السياسية ٠

٤ – موقفها من ابنها قنسطنطين السادس ٠

٥ – علاقتها بشارلمان ٠

---

6. G.Ostrogorsky : Ibid p. 181, L.Bréhier : Ibid p. 91.C.W. Previte — Orton : The Shorter Cambridge Medieval History Vol. I p. 250,
عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦ ٠
7. L.Bréhier : Ibid p.93, Larousse Encyclopedia of Ancient and Medieval History, p. 273.



فبالوفاة المبكرة للامبراطور ليو الرابع ( ٧٧٥ – ٧٨٠ م (٨) / ١٥٨ – ١٦٤ هـ ) فى ٨ سبتمبر ٧٨٠ م، اعتلى العرش البيزنطى ابنـه القـــاصر قنسطنطين السادس الذى كان يومئذ فى العاشرة من عمره (٩)٠ وليس لهذا الحادث أهمية خاصة سوى أنه كان بداية رفع الستار عن الشخصية التى نحن بصدد دراستها الآن ، حيث حكم قنسطنطين تحت وصاية الامبراطورة الأم (١٠) ايرين ٠

أشـــارت المصـــادر والمراجـــع الأجنبية الى الامبراطورة باسم Irene (١١) فى حين تعددت الاشارات اليها فى المصادر العربية تحت أســـماء مختلفة مثـــل رينى (١٢) ورمنى (١٣) وزينى (١٤)

---

8. Charles Diehl : Histoire de l'Empire Byzantine, p. 76,M.V. Anastos : Cam. Med. Hist vol. IV, part I, p. 82.
تبدأ ١٥٨ هـ فى ١١ نوفمبر ٧٧٤ ، ١٥٩ هـ تبدأ ٣١ أكتوبر ٧٧٥ م أما ١٦٤ هـ فتبدأ فى ٦ سبتمبر ٧٨٠ أى قبل وفاة ليو الرابع بيومين فقط (زامبور: ص ٥٢٤ ) ٠
9. G.Ostrogorsky : op.cit, p.177, C.W. Previte Orton : op. cit, vol. I. p. 249, M.V. Anastos : Ibid vol.IV. partI. p.82.
10. C.W.Previte — Orton : Ibid, p.249.
11. A.A. Vasiliev: Op. cit. p. 349, G. Ostrogrsky: op. cit., pp. 177-181, L. Bréhier: Vie et Mort... p. 91.

وهذا على سبيل المثال فقط

(١٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٦ ص ١٨٤ ٠ وفى نفس المصدر ص ٦٦ ، ص ١٦١ يذكر ابن الاثير أن رينى لقبت عطسه ، والراجح أنه تحريف لاوغسطه Augusta

(١٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ص ١٧ ٠

(١٤) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ١ ص ٣١٢ ٠

والست الدينى (١٥) والراجح أن هذا الاختلاف مرجعه تحريف ترجمة اسمها · وانفــرد ابن العبرى بايراد اسمها على تلك الصورة Eirene (١٦) ·

كانت ايرين امــرأة جميــلة (١٧) ، آثينيـــة الأصل (١٨) ، وكانت شديدة الطموح (١٩) ، مستبدة متعطشة للسيطرة (٢٠) ، ذات ارادة وقدرة (٢١) ، سريعة الغضب (٢٢) وماكرة (٢٣) هذا الى جـانب

---

(١٥) اليافعى : مرأة الزمان ، جـ ١ ، ص ٤٠٣ ·

16. The Chronography of Bar Hebraeus, v.1,p.120.

17. Larousse Encyclopedia . . . . . . . p.273, ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ ٢ ، ص ٥٧٨ ·

18. G.Ostrogorsky : op.cit p.176, Gaston Zananiri :Histoire de l'Eglise Byzantine, p.164, M.V.Anastos : Cam.Med. Hist. vol.IV.Part Ip.82, Louis Halphen : Les Barbares, p. 311.

19. Larousse Encyclopedia : op.cit p.273, M.V.Anastos : Ibid p.82, Gaston Zananiri : Ibid p.164.

20. Louis Halphen : op.cit p.311, Emile Amann : Histoire de l'Eglise, N.6. l'epoque Carolingienne, p.112.

21. G.Ostrogorsky : op.cit p.177, M.V.Anastos : Cam. Med. Hist vol.IV part1 p.82.

22. Larousse Encyclopedia : op.cit p.273.

23. Gaston Zananiri : op.cit p.164, C.W.Previte — Orton : op. cit vol.1 p.249.



ورعها وتقواها وتبجيلها للايقونات والصور (٢٤) ·

وهنا نتوقف قليلا عند تلك العبارة الأخيرة لنتعرف بايجاز على مغزاها التاريخى لأنها توضح لنا جانبا هاما من جوانب موضوعنا هذا ·

كان المسيحيون الأولون يمقتون أشد المقت استخدام التماثيل والصور الدينية ، وقد ترجع هذه الكراهية الى أنهم كانوا من نسل اليهـــود وكانت الشريعة الموسوية قد حرمت بشدة وصرامة كل ما يمثل الله · وفى بادىء الأمر جرت تجربة عبادة الصور والتماثيل فى حرص وتورع ، ثم تطور الأمر تطورا بطيئا وان يكن حتميا فانتقلت أمجاد الأصل الى الصــورة وأخذ أتقياء المسيحيين يقيمون الصلاة أمام القديس وتسربت الى الكنيسة الكاثوليكية شــعائر الوثنية المتمثلة فى الركوع وايقاد الشموع وحــرق البخــور · ورسخ استخدام التماثيل والصور بل وعبادتها قبل نهـــاية القرن السادس (٢٥) ( الميلادى ) وكان أهمها بالطبع

---

24. A.A. Vasiliev: op. cit. T.1 pp. 349 — 350, G. Ostrogorsky: op.cit p.p.177 — 179, C.W.Previte — Orton : Ibid,vol.1 p.250, M.V.Anastos : Cam.Med.Hist volIV part1p.82, Charles Diehl : op.cit p.77, Louis Halphen : op.cit p.311, Gaston Zananiri : Ibid ,p.p.164 — 165, عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ، ابراهيم على طرخان : الحركة اللايقونية، ص ٢٢

(٢٥) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٦ ·

Scanned by CamScanner

صورة السيد المسيح (٢٦) أو منديل المسيح (٢٧) أو منديل عيسى بن مريم (٢٨) ٠

والأيقونات (Icons) فى المصطلح ، هى كلمة مشتقة من الفعل الاغريقى القديم (Eiko) بمعنى أنا أشبه أو أماثل ، والاسم (Eikon) ومعناه : صورة أو صورة مقدسة ٠ وقد أشتق من هذا المصطلح كثير من المصطلحات التى شاعت فى التاريخ البيزنطى منها عابد الصور والتماثيل (Iconodulist) ومحطم الصور أو اللا ايقونى (Iconoclast) والمصدر (Iconoclasm) بمعنى تحطيم الصور (٢٩) ٠

والأيقونية عبارة عن محاولة تجسيد المسيح والعذراء والقديسين بالتماثيل والصور واستعمالها فى دور العبادة وخارجها ٠ أما اللا أيقونية فيعتقدون بعدم جواز تشبيه المسيح والعذراء والقديسين بالتماثيل والصور (٣٠) ٠

(٢٦) المرجع السابق ص ٥٤٧ : ٥٥٠ ٠
(٢٧) القرمانى : اخبار الدول واثار الاول فى التاريخ ، ص ٤٥١ ٠
(٢٨) ابن حوقل : صورة الارض : الطبعة الثانية ، بيروت ص ٢٠٤ ٠
ولتفصيل الكلام فى هذا الموضوع انظر كتاب المؤلفة : امارة الرها الصليبية. ص ٢٥ : ٢٧ ٠
(٢٩) ابراهيم طرخان : الحركة اللاايقونية ص ٦ ٠
(٣٠) عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٤ ٠
عن [Ware.T.The Orthodox Church]



ولم تكن هذه الصور أول الأمر سوى وسيلة لتعليم الديانة للاميين ، وتقريبها ، لأذهانهم غير أنه لم يلبث أن اتجه الميل لعبادة هذه الصور بدلا من القديسيين الذين تمثلهم (٣١) ٠

وفى بدء القرن الثامن حين كان سوء استخدام تلك الصور والتماثيل قد بلغ ذروته ، فأيقظ اليونان الأكثر تهيبا خوفهم من أنهم تحت ستار المسيحية قد أعادوا ديانة آبائهم وأجدادهم وسمعوا فى حزن وملل وصمهم بالوثنيين وهى تهمة وجهها اليهم بصورة مستترة اليهود والمسلمون الذين استمدوا من شريعة موسى ومن القرآن كراهية دائمة للتماثيل المنحوتة ولكل عبادة لغير الله (٣٢) ٠

وقد استخدم الرهبان فصاحتهم فى الدفاع عن الصور والثماثيل وحاولوا أن يثبتوا أن خطيئة الجزء الأكبر من الشرقيين والشقاق الذى حدث بينهم قد أفقدهم عطف هذه الرموز الثمينة وقضى على قيمتها وميزتها ٠ وبما أن عبادة الصور والتماثيل لم تكن قد أقرتها أية قوانين عامة أو وضعية ، ولهذا كان نموها فى الامبراطورية الشرقية بطيئا أو سريعا لاختلاف الناس والعادات ودرجة الرقى المحلى ،

(٣١) السيد الباز العرينى : تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ١٩١ ٠
(٣٢) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ ٠

وأخلاق وشخصيات الأساقفة · ومن ثم « فان تلك العبادة الرائعة كانت موضع الترحيب فى العاصمة التى اتسمت بالرعونة والطيش ، وشجعتها العبقرية المبدعة التى اتصف بها رجال الدين البيزنطيون » · أما أقاليم آسيا البدائية النائية فقد كانت غريبة على تلك البدعة من الترف المقدس ·· وظل أهل أرمينا ، وهم أشجع رعايا روما لا يطيقون رؤية الصور والتماثيل حتى القرن الثانى عشر (٣٣) ( الميلادى ) ·

وفى عهد الامبراطور ليو الثالث ( ٧١٧ ـ ٧٤١ م ٩٩ ـ ١٢٤ هـ ) الذى جاء من جبال ايسوريا ليرتقى عرش الشرق الأوروبى ، فكان تعليمه وعقله وربما اتصاله باليهود والعرب ، كل ذلك بعث فيه كراهية الصور والتماثيل (٣٤) ·

وفى البداية كان ليو معتدلا فجمع مجلسا كبيرا من الأساقفة والسناتو وأصدر بموافقتهم قانونا يقضى

---

(٣٣) ادوارد جيبون : المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٥١ ـ ٥٥٢ ·
(٣٤) ادوارد جيبون : جـ ٢ ، ص ٥٥٢
G.Ostrogorsky : op.cit p.161,
عبد القادر أحمد اليوسف : المرجع السابق ص ١٠٥ ·
وهنا يقال أن أحد سحرة اليهود لقى ليو الايسورى وبشره بأنه سيصبح امبراطورا بشرط أن يعمل على ابطال عبادة الصور المقدسة · ( ابراهيم على طرخان : الحركة اللايقونية فى الدولة البيزنطية ص ٤ عن (Finlay , Gibbon



بنقل كل الصور والتماثيل من المحراب والمذبح الى مكان مرتفع فى الكنيسة حيث تستطيع الأبصار رؤيتها ولكن الصور المقدسة ظلت فى ذلك الوضع المرتفع تغذى أنصارها وتشين ليو ، لذلك ثار لاتهام حزبه له بأنه لم يقم بواجبه كاملا · عندئذ أصدر مرسوما ثانيا حرم فيه وجود الصور الدينية واستخدامها (٣٥) · وفى سنة ٧٢٦م/١٠٨هـ بدأ الصراع الحقيقى لأول مرة بينه وبين الأيقونيين (٣٦) · وذلك عندما أمر جنده بتحطيم تمثال المسيح المنصوب عند البوابة البرونزية للقصر الامبراطورى · فثار الشعب ، بل ثارت جزر الأرخبيل وقرروا تعيين امبراطور جديد وأبحروا الى القسطنطينية ولكنهم كانوا يعتمدون على حدوث معجزة ، لكن ذلك لم يحدث أمام « قذائف النار اليونانية » وبعد هزيمتهم تركت الجزائر عارية أمام ليو (٣٧) ·

أما فى عهد الامبراطور قنسطنطين الخامس ( ٧٤١ ـ ٧٧٥ م / ١٢٤ ـ ١٥٩ هـ ) فقد اشتدت الحملة ضد الأيقونيين · وعقد مؤتمرا دينيا سنة ٧٥٤ م / ١٣٧ هـ قرر أن عبادة الصور هى افساد للمسيحية

---

(٣٥) ادوارد جيبون : المرجع السابق جـ ٢ · ص ٥٥٣ ·
36. G.Ostrogorsky : op.cit p.162.
(٣٧) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٥٥٦ ·

وتجديد للوثنية . وبأن الذين يرفضون تسليم الأشياء التى تعبدها خرافتهم الخاصة انما يقترفون جـريرة عصيان سلطان الكنيسة وسلطة الامبراطور (٣٨) .

وبمعنى آخر قرر هـــذا المجمع أنه لا يجوز رسم المسيح ، وكل من يجرؤ مستقبلا على أن يقوم بهذا العمل أو يقوم بتقديسه أو يتخذ صورته فى كنيســـة أو فى بيته ، أو اقتنى هذه الصور ، تقرر عزله اذا كان اسقفا أو قسا أو شماسا . أما اذا كان راهبا أو من العلمانيين فانه تقررت محاكمته وفقا للقوانين المدنية باعتباره عـــدوا لله ، ولما جـاء به آباء الكنيسة من المذاهب (٣٩) .

وقد انتقل الامبراطور بعد ذلك من معاقبة الأفراد الى الغاء طائفة الرهبان كلها (٤٠) وذلك بأن وجه نقمته ضد الرهبان والراهبات الذين لم يمتثلوا لأوامره فصـــادر ممتلكات أديرتهم وأجبرهم على الزواج ، فلجأ ما يقارب الخمســـون ألف راهب وراهبة الى ايطـــاليا . وأسفرت هذه الســـياسة عن خسران الامبراطورية لنفوذها فى ايطاليا ما عدا الأجـــزاء الجنوبية (٤١) .

---

(٣٨) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٥٥٤ .
(٣٩) السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٠ عن (Vasiliev)
(٤٠) ادوارد جيبون ج ٢ ص ٥٥٧ .
(٤١) عبد القادر أحمد اليوسف : المرجع السابق ص ١٠٨ عن (Deanesly)



والواقـــع أن الامبراطور قنســـطنطين أسرف فى التنكيل بالرهبان « فليس رداءهم فى نظره الا رداء الظلام » ، والى جانب ما تعرض له الرهبان من التنكيل وسمل العيون والنفى والضرب وكى جباههم بالقضبان الحديدية المحماه ، وجدع الأنف وقطع اللسان ، فان كثير من الأديرة تحولت الى ثكنات ومرافق عامة (٤٢)

أما فترة حكم الامبراطور ليـــو الرابع ( ٧٧٥ _ ٧٨٠ م / ١٥٨ _ ١٦٤ هـ ) فكانت فترة انتقـــال من ذروة انتصار اللا أيقونية على يد قنسطنطين الخامس الى العودة الى تبجيل الأيقونات على يد ايرين التى انحدرت من أثينا بلد الأيقـــونات (٤٣) . وتشربت حماس الآثينيين ورثة الوثنية (٤٤) .

نعود مرة أخرى الى ايرين فنجد أنها منذ اللحظـــة الأولى لاعتلائها العرش كوصية (٤٥) أو كامبراطور مساعد (٤٦) Co-Emperor ٧٨٠ _ ٧٩٧ م ١٦٤ _

---

(٤٢) السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٢ _ ١٩٣ عن (Vasiliev)
43. G.Ostrogrosky : op.cit p.175.
(٤٤) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ .
45. G.Ostrogorsky : op.cit p.177,Gaston Zananiri : op.cit p. 165. C.Diehl : op.cit p.76,L.Halphen : op.cit p.311.
46. G.Ostrogorsky : Ibid p.177, M.V.Anastos : Cam.Med. Hist vol IV part 1 p.82 وهنا نفصل الكلام عن هذا النظام معتمدين على

١٨١ هـ (٤٧) ، وهى تعمل جاهدة على بسط نفوذها وسلطانها على كل شىء ٠ وهنا تحضرنا تلك العبارة التى ذكرها ابن خرداذبة عن الروم حين قال « ليس الملك فيهم وراثة ولا كتاب متبع انما هو غلبة ٠ وقد ملكهم رجال ونساء (٤٨) » وبالفعل سوف يثبت لنا

=

أوستروجورسكى فنقول ٠ « كان لنظام الامبراطور المساعد فى بيزنطة أهمية خاصة فى الحفاظ على نظام توريث العرش فى الاسر الحاكمة الشرعية ٠ وفى بيزنطة ـ كما فى روما ـ لم يكن هذا النظام يخضع للقانون ، وعلى ذلك أخذ أباطرة بيزنطة يتبعون أسلوبا عمليا فى اختيـــــار خليفتهم المرغوب فيه كامبراطور مساعد وذلك فى فترة حكمهم وقبل وفاتهم ٠ وكان هذا الامبراطور المساعد يلبس التاج ويمنح اللقب الامبراطورى ، بل ان صورته كانت تظهر غالبا جنبا الى جنب مع الامبراطور الفعلى على النقود ، وكان اسمه يدرج فى المراسيم الامبراطورية ٠ وعند وفاة الامبراطور الفعلى ، يحل الامبراطور المساعد محله ويتمتع بكامل سلطات الامبراطور وعلى ذلك يحفظ حق ارتقاء العرش فى داخل الاسرة الامبراطورية ويدعم استمرار الدولة ٠

حقيقة لقد احتاج الامر بعض الوقت قبل أن يستقر نظام الوراثة ويأخذ شكله النهائى ، فهرقل نفسه مثلا أوجد شيئا من التعقيد فى هذا النظـــام بتعيينه ابنه الثانى وابنه الاول ، كامبراطورين مساعدين وخلفاء فى العرش.

(G.Ostrogorsky : Ibid p.107)

ولقد استمر اختيار الامبراطور المساعد من الاسرة الحاكمة الشرعيـة حتى خرقت تلك القاعدة على عهد الامبراطور قنسطنطين السابع ( ٩١٣ - ٩٥٩ م / ٣٠١ ـ ٣٤٨ هـ ) عندما عين والد زوجته Romanus Lecapenus فى ديسمبر ( ٩٢٠ م / ٣٠٨ هـ ) امبراطورا مساعدا له

(G.Ostrogorsky : Ibid p.264)

مما كان له اثره فى خروج العرش من الاسرة الشرعية الى أسرة غير شرعية ٠

47. M.V. Anastos, Cam. Med. Hist vol.1 part 1 p.82. C.W. Previte — Orton : op.cit vol.1 p.249.

(٤٨) ابن حرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٩ ٠



بحثنا هذا أن الحكم يؤول فيهم للاقوى حتى ولو كان امرأة ٠

وهنا نتناول بشىء من الامعان الدقيق عبارة نقلت من أحد المراجع الأجنبية (٤٩) تقول : « ان السر فى قوة ايرين كان شغفها بالحكم ، هذا الشغف الذى مزج باخلاص شديد للايقونات والصور ٠ مما جعلها تظن فى نفسها أنها الأداة المختارة بواسطة الله ، وأنهــــا عادلة فى كل تصرفاتها ٠٠ كان طموحها للدبلوماسية وللمؤامرات عظيما ، رغم أنهما كانا أقرب الى المكر منهما الى فن الحكم ٠ وأن اختيارها للوزراء من بين خصيانها كان الهدف منه الحصول على القـــوة بل والحفاظ عليها وليس لمصلحة الدولة »

والواقع أننا نتفق الى حد ما مع غالبية فقرات تلك العبارة ٠ وللتدليل على ذلك علينا أن نستعرض فترة حكم تلك الامبراطورة لنتكشف معا دقائق أهــوائها وميولها كحاكم وكأم ٠

اعتمدت ايرين فى مستهل حكمها المشــترك على الخصى ستوراقيوس، وعلى قائد القوات البحرية (٥٠)

49. C.W. Previte-Orton: op. cit., Vo. I, p. 249.

50. L.Bréhier : Vie et Mort, p.91, C.W.Previte — Orton : Ibid vol.1 p.249.

اللذان كانا المعاونان اللذان تثق بهما الى أبعد الحدود بل ان ستوراقيوس بالذات أصبح خلال عشرين عاما أخلص مساعد للامبراطورة (٥١) . أى خـــلال كل فترة حكمها تقريبا سواء المشترك أو المفرد .

قوبلت ايرين بعدة عقبات فى داخل الامبراطورية فى مستهل حكمها ، ولكنها بثباتها وتصميمها القويين استطاعت بسرعة القضاء على تلك العقبات (٥٢) . أولها تلك المحاولة التى قام بها القيصر نقفور – الذى كان أخ غير شقيق لليو الرابع (٥٣) – وذلك للسيطرة على زمام الحكم لصالحه ، والاطاحة بالحكم القائم ، وذلك بعد حوالى أربعين يوما فقط على وفاة ليـــو الرابع . ولكن ايرين قضت بسرعة على تلك الحركة، ونكلت بزعمائها ، بل ونفتهم خارج البلاد (٥٤) .

أما العقبة الثانية فكانت ممثلة فى أخوة الامبراطور ليو الرابع ، الذين ردت ايرين على حركتهم بتجريدهم، كما أجبروا على التنازل عن كل حقوقهم فى العرش وذلك فى يوم عيد الميلاد (٧٨٠ م / ١٦٤ هـ) فى كنيسة

---

عن [Theophane].

51. Emile Amann : op.cit p.112.
52. G.Ostrogorsky : op.cit p.177.
53. M.V.Anastos : Cam.Med.Hist vol.IV part 1 p.82.
54. G.Ostrogorsky : Ibid. p.177, M.V.Anastos : Ibid p.82.



سانت صوفى ، كما أجبروا أيضا على الدخول فى سلك الكهنوت بعد اخماد حركتهم (٥٥) .

كذلك استطاعت ايرين التغلب على قوات الجيش المتذمرة (٥٦) والتى لا تزال على ولائها واخلاصها لقنسطنطين الخامس (٥٧) .

والواقع أن كل تلك العقبات ، كان المحرك الأساسى لها واحد وهو العناصر اللاأيقونية (٥٨) . ومن ثم فقد بدأت ايرين فى هدوء وثبات تبرز ميولها الدينية وتجهر بتبجيلها الشديد للايقونات ، وهو الشىء الذى كانت تحاول جاهدة اخفائه فى عهد زوجها الراحـــل ليو الرابع . والنتيجة الحتمية لتلك السياسة هو أن الوظائف الهامة فى الدولة والكنيسة ظلت حـــوالى نصف قرن تقريبا فى أيدى اتباعها من الأيقونيين (٥٩)

---

55. G.Ostrogorsky : Ibid, p.177, هنا نجد أستروجورسكى يكتفى بالاشارة الى اخوة ليو الرابع دون اضافة أنهم أشقاء أم غير أشقاء . فى حين نجد M.V.Anastos : Cam.Med.Hist vol.IV Part 1 p.82 يذكر أنهم كانوا غير أشقاء . كذلك ذكر نفس الرأى C.Diehl : op.cit p.77.Emile Amann : op.cit, p.112.
56. C.W.Previte — Orton : op.cit vol.1 p.249.
57. Diehl : op.cit p.77.
58. G.Ostrogorsky : op.cit p.p.177-178, M.V.Anastos : Cam. Med.Hist vol.IV part 1 p.82.
59. G.Ostrogorsky : Ibid p.177, Louis Halphen : Les Barbares, p.311.

ولكن كيف تم ذلك وكيف ضمنت ايرين لنفسها النصر فى تلك الخطوة . هنا نشير الى تلك النقطة فى شىء من الايجاز لأن الخوض فى تفاصيل الشئون الدينية سيجعلنا نتطرق الى موضوعات كثيرة قد تبعدنا عن موضوعنا الأصلى .

اتضحت ميول الامبراطورة ايرين الدينية فى أواخر ٧٨٤ م ١٦٨ هـ عندما أجبر البطريرك بول الرابع Paul IV بطريرك القسطنطينية من ٧٨٠ الى ٧٨٤ م / ١٦٤ ـ ١٦٨ هـ ـ والذى كان قد عينه الامبراطور ليو الرابع ـ على الاستقالة فى ٣١ أغسطس ٧٨٤ م . وهو البطريرك الذى كان قد أدان الأيقونات والصور بتأثير من الامبراطور ليو الرابع (٦٠) . وعندئذ جمعت ايرين « كل الشعب » فى قصر الماجنورا وأضفت على تعيين البطريرك الجديد طرسيوس Tarasius ( ٧٨٤ ـ ٨٠٦ م (٦١) / ١٦٨ ـ ١٩١ هـ ) نوعا من

60. Gaston Zananiri : op.cit p.165. وهنا يضيف جاستون « ان ايرين ألحت على البطريرك بول أن يتراجع عن موقفه من عودة الايقونات للكنيسة فرفض قائلا : « ان كنيسة القسطنطينية قد انفصلت عن بقية الكنائس المسيحية . وأن وعده بعدم تبجيل الايقونات هو سبب موقفه هذا ، وأنه راغب فى التوبة ومغفرة الله . ولم يلبث أن توفى بعد ذلك بفترة قصيرة .

61. Zananiri : Ibid p.165.



الاختيار الشعبى (٦٢) . والواقع أن ايرين خططت لهذا الاختيار ببراعة وحذق ، وهو رجل ليست له أية خبرة بالشئون الدينية (٦٣) . وعليه فقد اعتلى طرسيوس الكرسى البطركى للقسطنطينية فى السنة الرابعة لحكم ايرين (٦٤) . وهو الذى عرف بأرثوذكسيته المتشددة (٦٥) . ولم يكن وقتذاك الا الأمين الخاص للامبراطورة وهو من العلمانيين المثقفين (٦٦) .

وبعد ترسيم طرسيوس أسقفا بدأت الاستعدادات لعقد مجمع مسكونى An Oecumenical Council لاعادة عبادة الصور (٦٧) . ولضحض قرارات المجمع اللاأيقونى الذى انعقد ٧٥٤ م (٦٨) ـ ١٣٧ هـ ـ والذى سبق الاشارة اليه ـ ولاتمام الاستعداد لهذا

62. G.Ostrogorsky : op.cit p.177,M.V.Anastos : Cam.Med. Hist vol.IV. part 1 p.84.

63. M.V.Anastos : Ibid p.84. وهنا يذكر جيبون « أن طرسيوس كان أمين سر ايرين وبعد أن أصبح بطريرك أصبحت بطريركية القسطنطينية فى يدها بل دانت لها الكنيسة الشرقية . ( أدوارد جيبون : المرجع السابق، ص ٥٧٩ ) .

64. A.A. Vasiliev: op. cit., T. 1 p. 349.

65. Gaston Zananiri : op.cit p.165.

(٦٦) السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٦ ، عن (Vasiliev)

67. A.A. Vasiliev : op. cit., p. 349.

68. G.Ostrogorsky : op.cit p.177.

المؤتمر دعت ايرين اليه الكراسى البطركية البـاقية ( روما ، الاسكندرية ، أنطاكيا وبيت المقدس ) (٦٩) . وبالفعل اجتمع المجلس فى كنيسة الرسل المقدسة فى القسطنطينية فى ٣١ يولية ٧٨٦ م (٧٠) ١٧٠ هـ .

كان هناك عددا كبيرا من اللا أيقونيين بين رجـال الدين وبين القوات الامبراطورية الذين كانوا مقيمين بالقسطنطينية ، وقد اعترضوا بشدة على أية محاوله لاعادة عبادة الأيقونات أو ابطال قرارات قنسطنطين الخامس فى هذا الشأن (٧١) . وقد بلغ من شـدة الأمر أن عددا من قوات الأمن بالقسطنطينية اندفعوا الى داخل المجلس أثناء اجتماعه الأول مستلين سيوفهم وأثاروا الشغب وأجبـروا أعضـاء المجلس على التفرق (٧٢) بعد أن انتقدوا بشدة أيرين وطرسيوس

69. M.V.Anastos : Cam.Med.Hist vol. IV part 1 p.84.

وهنا يذكر نفس المرجع « أن بطاركة الشرق الثلاثة لم يستطيعوا الحضور بأنفسهم بسبب الفتح العربى وأرسلوا مندوبين عنهم أى عن أنطاكيا وبيت المقدس والاسكندرية » .

70. G. Ostrogosky : op. cit., p. 178, A.A. Vasiliev: op. cit., T. I p.349, M.V.Anastos Ibid p.84.

ويذكر فازيلييف هنا أن عددا من السفراء قد أرسلوا الى البابا أدريان الاول ، الذى أرسل بدوره مندوبين للمجلس فى القسطنطينية .

71. G.Ostrogorsky : Ibid p.178, M.V.Anastos : Ibid p.84.
72. A.A. Vasiliev : op. cit., T. 1, p. 349, C.W. Previte-Orton op.cit vol.1 p.250, G.Zananiri : op.cit p.165.



وأنصارهما (٧٣) . وهنـا ثبتت الامبراطورة ايرين بشجاعة أمام ذلك الاخفاق (٧٤) ، الذى لم يستمر سوى فترة قصيرة (٧٥) .

وقد اضطرت هى والمقربين منها الى تأجيل انعقاد المجلس الى السنة التالية (٧٦) . ولكى تضمن ايرين النجاح التام للمجمـع الدينى طلبت من الفـرق العسكرية – ذات الاتجاهات اللا أيقونية – العبور الى آسـيا الصغرى بحجة الاعداد لحملة عسكرية ضد العرب وبمجرد وصول تلك الفرق الى بثينيا سرحوا وحـل محلهم جنـود أيقونيين من تراقيـا بل ان الامبراطورة أعادت تنظيم الجيش واختـارت قادته بالطريقة التى تضمن النجاح لنظامها (٧٧) . ومن بين الجنـد الأكثر اخـلاصا والأكثـر اعتنـاقا لأفكارها (٧٨) .

73. G.Zananiri : Ibid p.165.
74. G.Ostrogorsky : op.cit p.178.
75. A.A. Vasiliev : op. cit., T. 1, p. 349.
76. M.V.Anastos : Cam.Med.Hist vol.IV part 1 p.84.

وهنا يقـال

« أن المندوبين البابويين سارعوا بالرحيل الى روما . وفى صقلية لحق بهم مبعوثون من قبل الامبراطورة ايرين تطلب منهم العودة مرة ثانية . وبهذا عاد المجمع الى الانعقاد مرة أخرى G.Zananiri : op.cit p.165.

77. G.Ostrogorsky : op.cit p.178, M.V.Anastos : Cam.Med. Hist vol.IV part 1 p.84.
78. A.A. Vasiliev : op. cit., T. 1, p. 349.

وفى سبتمبر ٧٨٧ م / ١٧١ هـ انعقد المجمع فى نيقية وهو المجمع المسكونى السابع (٧٩) ، ومجمع نيقية الثانى (٨٠) ، بل المجمع المسكونى الأخير فى تاريخ الكنيسة الشرقية (٨١) · حضره عـــدد من الأســاقفة يتراوح ما بين ثلثمــائة (٨٢) وثلثمائة وخمسين (٨٣) ·

وقد انتهت مداولات المؤتمر فى ٣١ أكتوبر ٧٨٧م/ ١٧١ هـ بعد أن استغرقت اجتماعاته ثمانى جلســات منفصلة (٨٤) · وأسفرت تلك الاجتماعات عن عدة قرارات هامة منها : العودة لتبجيل الأيقونات والتنديد باللاأيقــونيين ، الذين صــدر قرار الحــرمان ضدهم (٨٥) · ورفضت قرارات المجمـع اللاأيقونى

79. A.A. Vasiliev: Ibid, p.350, M.V.Anastos : op.cit, p.84, C. W.Previte Orton : op.cit vol.1 p.250.
ابراهيم على طرخان : الحركة اللاأيقونية ، ص ٢٣ عن ( بينز )
80. The New Encyclopaedia Britannica, vol.1 p.101,
ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٨٠ ·
81. A.A. Vasiliev: op.cit T.1 p.350.
82. A.A. Vasiliev: Ibid p.350.
83. M.V.Anastos : op.cit p.84, ادوارد جيبون : ج ٢ ، ٥٨٠
84. M.V.Anastos : Ibid p.84.
ابراهيم على طرخان : الحركة اللايقونية ، ص ٢٣
85. A.A. Vasiliev: op.cit T.1 p.350, C.W.Previte Orton :op.cit vol.1 p.250, G.Ostrogorsky : op.cit p.179,M.V. Anastos : op.cit p.p.84 — 87, C.Diehl : op.cit p.77.



الذى انعقد ٧٥٤ م ـ ١٣٧ هـ وأثبتت أهمية الصـور والأيقونات وأنها استخدمت فى الكنائس منذ أزمنـة مبكرة ولم يعترض عليها آباء الكنيسة (٨٦) · وبمعنى آخر أعلنوا بالاجماع أن عبادة الصور والتمــاثيل الدينية تتفق مع الكتاب المقدس (٨٧) · كذلك تقرر انكار ماوقع من تحويل الأديرة الى دور ومساكن (٨٨)

وفى النهــاية وقع على قرارات المجمع كل من الامبــراطورة ايرين والامبراطـــور قنســطنطين السادس (٨٩) · عندئذ هلل الأســاقفة المجتمعين «لقنسطنطين الجديد وهيلين الجديدة» (٩٠) · والواقع أن سر تحمس هؤلاء الأساقفة هو أنه بهــذا النصر ضـمنوا الاستقلال التام للكنيســة تحت رعاية الدولة (٩١) · واعتبروا ايرين هى المؤيدة المتحمسة للمسيح (٩٢) وقد صدق البابا أدريان الأول ( ٧٧٢ ـ ٧٩٥م / ١٥٥ ـ ١٧٩ هـ) على قرارات المجمع (٩٣)

86. M.V.Anastos : Ibid p.85,
ابراهيم على طرخان ، المرجع السابق ، ص ٢٣
(٨٧) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ · وهنــا يعقب جيبون على قرارات هذا المجمع بأنها « لاتزال موجودة كأثر عجيب للخرافة والجهل وللزيف والحماقة » ·
(٨٨) السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ص ١٩٧ عن (Vasiliev)
89. G.Ostrogorsky : op.cit p.179.
90. A.A. Vasiliev : op. cit., T. 1 p. 350. [Mansi]. عن
91. Charles Diehl : op.cit p.77.
92. C.W.Previte Orton : op.cit vol.1 p.250.
93. The New Encyclopaedia Britannica vol.1 p.101.

وإذا كانت ايرين قد قـدست بسبب سـياستها الدينية (٩٤) ، الا أننا نتفق مع الرأى القـائل بأن اهتمامها باعادة الأيقونات أضـعفت الامبراطورية داخليا وخارجيا (٩٥) · ولقد لمسنا ذلك الى حد ما عند تناولنا للاوضاع الداخلية فى عهدها ·

أما بالنسبة للشئون الخارجية فللتدليل على ذلك، نذكر على سبيل المثال موقف شارل العظيم ملك الفرنجة آنذاك الذى تغيرت نظرته كلية الى الدولة البيزنطية، ولو أن البعض يعزى السبب فى ذلك الى سوء الترجمة اللاتينية لقرارات مجمع نيقية ٧٨٧ م (٩٦) · والبعض الآخر يرجعه الى فسخ ايرين لخطـوبة قنسطنطين السادس من ابنة شارلمان وذلك ٧٨٨ م (٩٧) ·

وعند القاء الضوء على بعض علاقات الامبراطورة ايرين ، الخارجية بجيرانها منذ توليها الوصاية على ابنها قنسطنطين السادس ، نجد أنها كانت تتصف ببعد النظر وبتفهم عميق للامور · وللدلالة على ذلك نجدها تسارع منذ البداية المبكرة لتوليها الوصاية وبالتحديد

94. Emile Amann : Hist de l'Eglise N.6. p.112.

(٩٥) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٧ ·

96. C.W.Previte Orton : op.cit vol.1 p.313, M.V.Anastos : op. cit p.87, The New Encyclopaedia Britannica vol.1 p.101.

97. M.V.Anastos : Ibid. p.87.



٧٨٠ م (٩٨) / ١٦٤ هـ الى خطب ابنهـا قنسطنطين السادس الى ابنه شارل العظيم ملك الفرنجة ـ لمـا كانت ترى فيه من صفات الحكام والقادة العظام ـ وهى المسمـاه Rotrudis Rotrude (٩٩) والتى سماها البيزنطيون Eruthro (١٠٠) وبالفعل وافق شارل على طلبها (١٠١) ·

واذا عرفنا أن قنسطنطين لم يكن قد تجاوز فى ذلك الوقت الثانية عشرة من عمره (١٠٢) ، لتأكدنا وأيدنا بالفعل الرأى القائل بأن التخطيط من جانب ايرين لتلك الخطوبة كان بدوافع سياسية بحته (١٠٣) · وأنه كان بغرض توطيد مركزها (١٠٤) · ولكن عندما اتضحت نواياها الحقيقية عادت ففسخت تلك الخطوبة ، أو ذلك الاتفـاق (١٠٥) ، أو تلك المفـاوضات فى رأى ثالث (١٠٦) ، مما كان له أبعد الأثر فى تأليب شارل

98. L.Bréhier : op.cit p.91.

99. A.A. Vasiliev: op. cit. T 1 p. 353, C.W. Previte-Orton: op. cit vol.1 p.305, G.Zananiri : op.cit p.165.

100. A.A. Vasiliev : Ibid, T. 1, p. 353.

101. G.Zananiri : op.cit p.165.

102. A.A. Vasiliev : Op. cit. T. I, p. 353.

103. L.Bréhier : op.cit p.91, C.W.Previte — Orton : op.cit p.305.

(١٠٤) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ·

105. L.Bréhier : op.cit p.91, C.W.Previte Orton : Ibid p.305.

106. A.A. Vasiliev : op. cit., T. 1, p. 353.

لأمير بنفنتوم جريمولد ( ٧٨٧ - ٨٠٦ م / ١٧١ - ١٩١ هـ ) على غزو صقلية (١٠٧) التابعة للنفوذ البيزنطى ٠

وثمة رأى نرجح كفته عن سبب فسخ ايرين لخطبة ابنها من ابنة شارل ملك الفرنجة وهو أنها خافت أن يصبح قنسطنطين السادس ووالد زوجته شارل قوة تنتزع منها صولجان الحكم وأن يتمكن قنسطنطين بمساعدته من اعتلاء منصة الحكم بمفرده (١٠٨) ٠ وبذلك يعلو مركز ابنها على حسابها (١٠٩) ٠

والواقع أنه بالنسبة لايطاليا كانت سياسة ليو الثالث الأيسورى ثم قنسطنطين الخامس اللا أيقونيان سببا فى ابعاد البابوية عن الاخلاص والتبعية لبيزنطة وبالتالى الاقتراب من الكارولنجيين (١١٠) ٠ بل ان القسطنطينية بمرور الوقت أصبحت معزولة عن كل المسيحيين المتكلمين باليونانية (١١١) ٠

وللتدليل على ذلك نجد شارلمان يقوم بحملة ٧٧٣م / ١٥٦ هـ تلبية لاستغاثة البابا أدريان الأول ( ٧٧٢ -

107. C.W.Previte Orton : op.cit vol.1 p.305.
108. M.V.Anastos : op.cit p.87.
(١٠٩) عمر كما توفيق : المرجع السابق ص ١٢٣ :
110. E.Amann : op.cit N.6 p.113.
111. E.Amann : Ibid. p.113



٧٩٥ م / ١٥٥ - ١٧٠ هـ ) ضد اللمبارديين (١١٢) الذين كانوا قد استولوا على بعض المدن الواقعة وسط ايطاليا والتى كانت تخضع للبابوية منذ أيام بيبن القصير ٠ وبالفعل نجح شارلمان فى مهمته وعزل ملك اللمبارديين نفسه ونقل ملكية أجزاء واسعة من سهول

(١١٢) كان اللمبارديون اخر الشعوب الجرمانية التى اقتحمت الامبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها ٠ وقد أقاموا فى القرن الاول عند وادى نهر الاودر والجزء الادنى من نهر الالب حتى تحركوا جنوبا وظهروا فى بانونيا فى أوائل القرن السادس ودخلوا فى صراع رهيب مع جيرانهم من الشعوب الجرمانية وخرجوا منتصرين من هذا الصراع سنة ٥٦٧ م بفضل تحالفهم مع عنصر الافار الذين خلفوا الهون فى الاجزاء الشرقية والوسطى من أوربا ٠ عملوا كجند مرتزقة فى جيوش جستنيان حتى ان الجزء الاكبر من الجيش البيزنطى الذى عمل تحت قيادة نارسيس فى ايطاليا لطرد القوط الشرقيين كان مؤلفا من اللمبارديين ٠ ولم تلبث الظروف أن جعلت من اللمبارديين قوة خطيرة تهدد الامبراطورية ، وذلك عندما اتحدت قبائلهم تحت زعامة ملك واحد وكان ذلك فى الوقت الذى اضطروا تحت ضغط الافار الى الجلاء عن بانونيا ٠ وهنا تلفت اللمبارديون حولهم فلم يجدوا بلدا أصلح لهم وأقرب اليهم من ايطاليا التى تدفقوا اليهافى ربيع ٥٦٨ م تحت زعامة ملكهم البوين Alboin واستطاعوا اخضاع بافيا بعد حصار دام ثلاث سنوات فاتخذوها عاصمة لمملكتهم الجديدة التى أخذت منذ ذلك الوقت فى الاتساع السريع ٠٠ وقد نجح الغزو اللمباردى فى القضاء على الوحدة الايطالية فقد غدت ايطاليا فى القرن السابع مقسمة بين ثلاث قوى: اللمبارديون والدولة البيزنطية والبابوية ٠ وان نظرة عابرة يلقيها الباحث على خريطة ايطاليا عندئذ لتوضح له ما كانت عليه من انقسام وبعثرة سياسية حتى صار من الصعب فى كثير من الحالات أن تتصل الممتلكات البيزنطية فى ايطاليا بعضها ببعض الا عن طريق البحر ٠ ( سعيد عاشور تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ٠ ص ١٠٩ ؛ ١١٠ ، ١١٥ ٠ عن Lot : The End of the Ancient World, Cam. Med.Hist vol.2, Thompson : The Middle Ages]

لمبارديا التى كانت تخضع للملك المعزول الى حكمه ، كما أعطى البابا جزءا من تلك البلاد الى شارلمان عندما قام بزيارته الى روما ٧٧٤ م (١١٣) / ١٥٨ هـ . وحدث فى تلك الأثناء أن تخلص البابا أدريان من التدخل الواهن للبيزنطيين فى ايطاليا عندما أعلن طاعة روما – ولو من الناحية الشكلية النظرية – لشارلمان بدلا من ممثل الامبراطور البيزنطى واقتصر حكم بيزنطة فى الغرب على الطرفين الجنوبيين من ايطاليا وهما أبوليا وكالابريا بالاضافة الى صقلية .

- ويبدو أن القادة البيزنطيين أنفسهم فى الغرب وبالذات فى صقلية لم يرقهم اعتلاء ايرين العرش ، ففى السنة التالية مباشرة لتوليها الوصاية على ابنها قنسطنطين السادس أى ٧٨١ م / ١٦٥ هـ اندلعت ثورة عارمة فى صقلية بقيادة البيديوس Elpidius قائد صقلية والمسؤول البيزنطى الأول فى الغرب . لكنه لم يقهر فى الحال وذلك بسبب الاستعدادات لمواجهة العرب فى آسيا الصغرى (١١٤) . ولكن ما أن انتهى أمر الغزو العربى عن طريق عقد الهدنة كما سنرى

113. The New Encyclopaedia Britannica vol.1 p.101.,
جوزيف نسيم : مقدمة كتاب الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى تأليف ل.د. هارتمان.ج. باراكلاف .

114. M.V.Anastos : op.cit vol.IV part 1. p.82.



حتى أرسلت حملة عسكرية الى صقلية طردت البيديوس الذى فر الى افريقية حيث توج ملكا للرومان هناك بواسطة العرب ٧٨٢ م (١١٥) / ١٦٦ هـ .

كانت التهديدات الاسلامية العربية مستمرة على طول الجبهة الجنوبية الشرقية للامبراطورية البيزنطية (١١٦) . وفى البداية المبكرة لحكم ايرين وبالتحديد ٧٨٢ م فى عهد الخليفة المهدى اتخذ العرب خطة الهجوم بنجاح فى آسيا الصغرى (١١٧) . وقد وصلت احدى الحملات الى شواطىء البسفور (١١٨) وكانت تلك الحملة بقيادة هارون الرشيد ابن الخليفة المهدى (١١٩) ، وذلك فى صائفة جمادى الآخرة ١٦٥ هـ / ٧٨٠ م التى أشار اليها ابن الأثير بقوله

115. Chronique de Michel le Syrien, T. 111, p. 9.
ويذكر ميخائيل السريانى هنا أن القوات البيزنطية استطاعت القبض على زوجة البيدوس وأطفاله وسجنتهم .
M.V.Anastos : Ibid. p.83.

(١١٦) أنظر كتاب الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى للمؤلفة .

117. A.A. Vasiliev : op. cit., T. 1, p. 317.
وقد امتد حكم الخليفة أبو عبد الله محمد المهدى بن المنصور من ٦ ذى الحجة ١٥٨ هـ الى ٢٢ المحرم ١٦٩ هـ ( زامبور : ص ٥ ) .

118. E.Amann : op.cit N.6. p.113 [Theophane]. عن
M.V.Anastos : op.cit p.83.

119. M.V.Anastos : Ibid. p.83.

أن الرشيد توغل فيهـــا فى بلاد الروم وأنه قــابل الدمستق « صاحب المسالح » فحمل للرشيد وقواته « مائة ألف دينار وثلاثة وتســعين ألفا وأربعمــائة وخمسين دينارا ، ومن الورق أحدا وعشرين ألف ألف درهم وأربعة عشر ألفا وثمانمائة درهم (١٢٠) » ٠

هنا اضطرت ايرين الى طلب الهــدنة لمدة ثلاث سنوات (١٢١) فى مقابل دفع ضريبة سنوية قدرها يتراوح ما بين سبعون وتسعون ألف دينار (١٢٢) ٠ كما وافقت ايرين على أن تقيم للرشيد « الأدلاء فى الأسواق وفى الطريق ، وذلك أنه دخل مدخلا ضيقا مخوفا (١٢٣) » ٠ وكانت تلك الهدنة « مخزية للغــاية فى حق الامبراطورية البيزنطية (١٢٤) ٠

هنا يذكر أحد المراجع أنه كان من الممكن أن تحقق ايرين النصر على العرب لولا عاملين تضافرا على

---

(١٢٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٦٦ ٠
(١٢١) المصدر السابق نفس الصفحة ،
A.A. Vasiliev : op. cit., T. 1, p. 317.
Chronique de Michel le Syrien,T.111, p.2.
M.V.Anastos op. cit p.83.
122. A.A. Vasiliev : Ibid. p. 317, M.V. Anastos Ibid., p. 83, ابن الاثير : المصدر السابق نفس الصفحة وهو يذكر أن مقدار الضريبة أو الفدية كان سبعون الف دينار فقط ٠
(١٢٣) ابن الاثير : المصدر السابق نفس الصفحة ٠
124. A.A. Vasiliev: op.cit p.317, M.V.Anastos : op.cit p.83.



مساعدة العــرب على النصر : أولهما خيــانة قائد الثيمــاتا البوكليرية Bucellarion Them المسمى تالزاتس Talzates بسبب حسده وحقده على الخصى ســتوراقيوس المقــرب المنزلة جــدا من الامبراطورة ايرين ، مما دفعه للهرب والانضمام الى جانب العرب ٠ والعامل الثانى هو غباء أو قلة دراية المبعــوثين البيــزنطيين ، الذين كان من بينهــم ستوراقيوس ، الذى دخل الى المعسكر العــربى دون تبادل تمهيدى للاسرى ، مما اضطره الى دفــع فدية هنــاك (١٢٥) ٠

وقد أرسلت ايرين القوات العسكرية الى مقــدونيا والى اليونان ثم للبلوبونيز وذلك فى ٧٨٣ م / ١٦٧هـ لردع السلاف (١٢٦) ٠ وقد أسفرت الحرب ضـــد السلاف بالذات على اجبارهم على الاعتراف بالسيادة البيزنطية وعلى دفع ضريبة سنوية ٠ وبلغ من عظمــة هذا النصر أن ستوراقيوس احتفـــل به احتفـــالا عظيما (١٢٧) ٠ وقد ساعد كل هذا على اضعاف وضع البيزنطيون فى آسيا الصغرى (١٢٨) ٠ مما ساعد

---

125. M.V.Anastos : Ibid p.83.
126. A.A. Vasiliev: op.cit T.1 p.317,E.Amann : op.cit p.113, M. V.Anastos : op.cit p.83.
127. G. Ostrogorsky: op. cit., p. 192, A.A. Vasiliev: op. cit., T. 1 p.317.
128. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 317.

العرب على اعادة تحصين بعض القلاع الثغرية وعلى سبيل المثال لا الحصر قلعة طرسوس ٧٨٦ _ ٧٨٨ م (١٢٩ / ١٧٠ _ ١٧٢ هـ ٠

وعليه فانه اذا كانت ايرين لم تتمتع بالشعبية الكافية من جيشها فى الداخل ، فقد كان لذلك آثاره الواضحة أيضا على الحروب الخارجية فى فترة وصايتها التى اتسمت بالهزائم المتلاحقة على أيدى العرب والبلغار بل واللمبارديين فى ايطاليا (١٣٠) ، هذا الى جانب انكار البابوية للنفوذ البيزنطى (١٣١) وثمة رأى يذكر أن العامل السياسى كانت كفته أرجح من العامل العسكرى فى عدم احراز البيزنطيين النصر خصوصا فى مواجهة العرب والبلغار ٧٨٨ ، ٧٨٩ م/ (١٣٢) ١٧٢ _ ١٧٣ هـ ٠ والواجح أن العاملين تضافرا فى رأينا ٠

وببلوغ قنسطنطين السادس السن القانونية لاعتلاء العرش عز على الامبراطورة الأم أن تفرط فى ذلك النفوذ العريض أو تتنازل عن تلك العظمة وذلك

---

129. M.V.Anastos : op.cit p.83.
انظر كتاب المؤلفة : الثغور البرية الاسلامية : ثغر طرسوس ص ٣٢ ، ١٤٥
130. Diehl : op.cit p.78, C.W.Previte Orton : op.cit vol.1 p.250, M.V. Anastos : op. cit., p. 88.
131. C.W.Previte Orton : Ibid p.250.
132. M.V.Anastos : op.cit p.88.



الجبروت ، « بل كانت غير راغبة تماما فى التنازل عن السلطة » (١٣٣) ٠

كانت ايرين لا تزال تملى اثر انتصارها العظيم بعقد مجمع نيقية ٧٨٧ م ١٧١ هـ والذى أرضى كل أهوائها التى كبتتها طويلا ٠ هنا كان لابد من أن يتفجر الصراع بينها وبين ولدها قنسطنطين السادس (١٣٤)

والواقع أن هناك عدة عوامل جعلت قنسطنطين غير راضى تمام الرضا عن سياسة أمه تعلق أغلبها بالخصى ستوراقيوس ٠ وعلى سبيل المثال فبعد فسخ الامبراطورة الأم لخطوبة ابنها من ابنة شارل العظيم ملك الفرنجة أجبرته على الزواج من « ماريا » الأرمينية التى اختيرت بواسطة ستوراقيوس ، وفقا لاحدى مسابقاته الشاذة للجمال ، وقد استطاع استمالة الامبراطورة اليه فصممت على اتمام تلك الزيجة ٠ وقد أحنق ذلك التصرف قنسطنطين وتعهد بضرورة الاطاحة بستوراقيوس وبنفى ايرين (١٣٥) ٠ لكن ستوراقيوس اكتشف المؤامرة وقبضت ايرين على ابنها واتباعه وجلدوا وضرب قنسطنطين كما لو كان طفلا صغيرا وحددت اقامته (١٣٦) ٠

---

133. G.Ostrogorsky : op.cit p.179.
134. Diehl : op.cit p.77.
135. L.Bréhier : op.cit p.91.
136. L.Bréhier : Ibid p.91,
عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ص ١٢٣

كذلك كان قنسطنطين يرى أن الخصى ستوراقيوس – المقرب للامبراطورة – قد استولى على كل السلطات التى كان من الواجب أن تؤول اليه فى الحكم بل انه أصبح الحاكم الفعلى فى الامبراطورية (١٣٧) .

وقد أخذت ايرين تصوب سلاحها الأيقونى تجاه ابنها فقد كان من أقرب المقربين اليه اللاأيقونى Michael Lachanodracon (١٣٨) .

لذلك نظمت الامبراطورة فى ربيع ٧٩٠ م / ١٧٣ هـ مؤامرة وشعرت أنها قوية ما فيه الكفاية للحصول على اعتراف رسمى بسلطتها المفردة والتى يعلق عليها أستروجورسكى بقوله « التى كانت تمتلكها فى الحقيقة منذ فترة طويلة » (١٣٩) ، فقد طالبت الجيش بأن يقسم يمينا يعترف فيه بها « كحاكم أعلى » ووضع اسمها قبل اسم الامبراطور المساعد قنسطنطين السادس . هنا لم تتردد قوات العاصمة – المكونة أغلبها من العناصر الأوروبية – عن حلف اليمين والولاء المطلوب منهم (١٤٠) .

لكن ايرين قوبلت بمقاومة شديدة من جانب قوات

137. M.V.Anastos : op.cit p.88.
138. G.Ostrogorsky : op.cit p.179.
139. G.Ostrogorsky : Ibid p.179.
140. G.Ostrogorsky : Ibid p.179.



الثيماتا الأرمينية ، التى كانت تضمر العداء للامبراطورة الأيقونية . وامتدت المعارضة الى بقية الولايات العسكرية فى آسيا الصغرى (١٤١) عندئذ وضعت قوات الجيش مصالح الدولة نصب أعينها وأطاحت جانبا بكلقوتها مطامع الامبراطورة الطموحة ونادت بالامبراطور الشرعى قنسطنطين السادس كحاكم بمفرده فى أكتوبر ٧٩٠ م (١٤٢ / ١٧٤ هـ . عندئذ قبض قنسطنطين السادس على ستوراقيوس ، وألقى به فى السجن بعد جلده ، كذلك أبعدت الامبراطورة ايرين الى قصر Eleutherius أو Eleutheric (١٤٣) . ويقال أنذلك كان تلبية لرغبتها حيث أنها كانت تخفى فيه أموالا طائلة (١٤٤) . ويبدو أن كل هدفها فى ذلك الوقت كان الحفاظ على حياتها فتنازلت عن الحكم لابنها (١٤٥) .

141. G.Ostrogorsky : Ibid p.p. 179 — 180, L. Bréhier : op.cit p.91,L.Halphen : op.cit p.311.
142. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 180, I. Bréhier: Ibid., p. 91, M.V. Anaston : op.cit p.88.
وهناك بعض المراجع تذكر أن ايرين تنازلت عن السلطة فى ديسمبر ٧٩٠ م / ١٧٤ هـ ولكن يبدو أن ذلك التاريخ كان متأخرا بعض الشىء . والمراجع هى : عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١٢٢ ،
L.Halphen : op.cit p.311
143. L.Bréhier : Ibid p.91, M.V.Anastos : Ibid p.88.
144. M.V.Arastos : Ibid p.88.
145. L.Halphen : op.cit p.311.

وبتولى قنسطنطين السادس العرش بمفرده بدأت تتضح صفاته الشخصية ، فقد كان شجاعا نشطا لكنه كان ساذجا ويعوزه الثبات والحنكة السياسية اللازمة للحاكم الناجح (١٤٦) · كذلك لم تكن لديه القدرة ولا التصميم الكافى (١٤٧) · ولم يحسن فى نفس الوقت تقدير خطر أمه (١٤٨) ·

فالواقع أنه رغم ابتعاد ايرين عن مسرح الحكم الا أن حزبها ظل يضغط على قنسطنطين ويحثه على ضرورة ارجاع أمه الى جانبه (١٤٩) · ويبدو أن تكرار الهزائم البيزنطية أمام كل من العرب والبلغار فى سنة ٧٩١ م / ١٧٥ هـ دفعته الى الاسراع بتلبية رغبة حزب أمه وأعادها كمساعد له فى الحكم فى يناير ٧٩٢ م (١٥٠) / ١٧٥ هـ · بل انه أعاد لها لقب أجسته Augusta (١٥١) ، ولم يكتف بذلك بل أعاد معها وزيرها ستوراقيوس الى منصبه السابق (١٥٢) · وعادت من جديد الصيغة القديمه

146. C.W.Previte Orton : op.cit vol.1 p.250.
147. M.V. Anastos : op. cit., p. 88.
(١٤٨) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٤
149. G.Ostrogorsky : op.cit p.180.
150. G.Ostrogorsky : Ibid p.180. M.V.Anastos : op.cit p.88.
151. L.Bréhier : op.cit p.91. والراجح أن ابن الاثير حرف عنها لقب « عطسه » ( ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦١ ) ·
152. Bréhier : Ibid, p.91 عمر كمال توفيق : المرجع السابق، ص ١٢٤



للتوقيعات « قنسطنطين وايرين » (١٥٣) ·

وهكذا خابت آمال حزب قنسطنطين بسبب ضعفه ولموقفه الغير بطولى فى الحرب البلغارية سنة ٧٩٢م (١٥٤) / ١٧٦ هـ · وباعتلائه العرش لم يكن لديه القدرة للمحافظة عليه الى جانب ارتكابه الأخطاء على التوالى (١٥٥) · فقد أصبح العوبة فى يد أمه ومكرها الشيطانى (١٥٦) · فحرضته على الكثير من الأخطاء التى أفقدته بالتدريج الشعبية من الجميع ·
لقد عادت ايرين برغبة قوية للانتقام لنفسها ولم تترك أية وسيلة لتحقيق ذلك فقد رسمت لنفسها خطة بارعة للتخلص من ابنها فعملت على أن توقع بينه وبين أعوانه وعلى الحط من شأنه أمام الجيش وتشويه سمعته أمام رعاياه والافساد بينه وبين رجال الدين (١٥٧) ·

ولتفصيل ذلك نقول أن الشعور بالاستياء كان قد سرى بين قوات الثيماتا الأرمينية نتيجة لتنكيل قنسطنطين الفظيع بقائد الثيماتا الأرمينية

153. G.Ostrogorsky : op.cit. p.180.
154. G.Ostrogorsky Ibid p.180.
155. L.Bréhier : op.cit p.91.
156. C.W.Previte Orton : op.cit p.250.
(١٥٧) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ·

عن طريق سجنه وتعذيبه بسمل Alexis Moséle
عينيه لا لشيء اقترفه الا انتقاما للهزيمة التى لحقت به على يد البلغار والتى تسرع فيها قنسطنطين بالدخول فى الحرب ضدهم لتصديقه لأقوال أحد المنجمين (١٥٨) وقد اضطر بسببها الى دفع ضريبة سنوية للبلغار (١٥٩) ٠ وثمة رأى يذكر أن أمه هى التى حثته على هذا التصرف المشين ضد هذا القائد (١٦٠) ولا غرو فقد كان الكسيس هو الذى قاد التمرد ضد ايرين لمصلحة قنسطنطين نفسه (١٦١) ٠ ولو كان قنسطنطين على قدر من الحنكة السياسية لأمكنه تفهم حقيقة غرض أمه من وراء رغبتها فى حرمان ذلك القائد من نعمة البصر ٠

كان لتلك الجريمة أثرها فى افقاد قنسطنطين الحظوة والاعتبار لدى قواته (١٦٢) ٠ لذلك دبرت مؤامرة بين قوات الجيش للمناداة بنقفور ـ القيصر السابق ـ امبراطورا (١٦٣) ٠ ذلك أن المعارضة قدرته كأقدم الموجودين من نسل قنسطنطين

158. L.Bréhier : op.cit p.91, G.Ostrogorsky : op.cit p.180.
159. M.V.Anastos : op.cit p.88.
160. C.W.Previte Orton : op.cit p.250.
161. G.Ostrogorsky : op.cit p.180, M.V.Anastos : op.cit p.p. 88 — 89.
162. L.Bréhier : op.cit p.91.
163. L.Bréhier : Ibid p.91.



الخامس (١٦٤) ٠ لكن سرعان ما اكتشف قنسطنطين سر المؤامرة ، فتحرك بسرعة للقضاء عليها وذلك بتحريض من أمه أيضا (١٦٥) ٠ فسمل عينى نقفور ـ عمه الأكبر ـ وقطع لسان أربعة آخرين من أعمامه (١٦٦) ٠ هنا اندلع عصيان مسلح بل حرب أهلية فى الثيماتا الأرمينية امتدت حوالى ستة أشهر ( من نوفمبر ٧٩٢ الى مايو ٧٩٣ (١٦٧) / ١٧٦ ـ ١٧٧ هـ ) ٠ وشملت الثورة كافة أنحاء آسيا الصغرى، حتى أن الامبراطور اضطر الى قيادة حملة نظامية بنفسه ضد الثوار ، اتباعه وأنصاره السابقين وذلك فى ربيع ٧٩٣ (١٦٨) / ١٧٦ ـ ١٧٧ هـ ٠ ونكل بالثوار بغدر وخيانة وبعقوبات غاية فى القسوة(١٦٩) « وبذلك انقلب التعاطف الذى كان يتمتع به الامبراطور فى هذا الاقليم الى عداء مرير » (١٧٠)٠

كذلك شجعت ايرين ابنها على الاستمرار فى حبه

164. G.Ostrogorsky : op.cit p.180.
165. C.W.Previte Orton : op.cit p.250.
166. G.Ostrogorsky : op.cit p.180, L.Bréhier : op.cit p.92, M. V.Anastos : op.cit p.88.
167. L.Bréhier : Ibid p.92.
168. G.Ostrogorsky : op.cit p.180.
169. G.Ostrogorsky : Ibid, p.180, L.Bréhier : op.cit p.92.Chronique de Michel le Syrien, T.111, p.9.
170. G.Ostrogorsky : Ibid, p.180.

وشغفه بوصيفتها ثيودوت Theodote ، بعد أن وضعتها فى طريقه عن قصد (١٧١) ، بل ونصحته بطلاق زوجته والزواج من تلك الوصيفة وذلك ٧٩٥م/ ١٧٩ هـ (١٧٢) . والواقع أن تلك الحادثة لم تــكن فقط المحرك الأكبر لازدراء الرأى العام له (١٧٣) ، بل كانت أيضا السبب الرئيسى لتأليب عداء رجال الدين الأرثوذكس ضده (١٧٤) . فقد استجاب لتحريض أمه فطلق زوجته ماريا ـ البافلاجونية الجميلة التى كان قد تزوجها أيضا وفقا لرغبة أمه ـ واتخذ من العشيقة الجديدة ثيودوت زوجة له (١٧٥) . وتوجت ثيودوت امبراطورة ،/واحتفل بالزواج الثـــانى لقنسطنطين بطريقة زادت من غضب الرأى العام (١٧٦) . بـــل أنه « أصبح محتقرا فى نظر كل الشعب » (١٧٧) . وبتلك الزيجة . « وطأ قنسطنطين الســادس القانون بقدميه عندما اتخذ زوجة ثانية وكانت زوجته الاولى

171. M.V.Anastos : op.cit p.89.

يقال أنها شجعتها على مشاركته حمامه

172. L.Bréhier : op.cit p.92,C.W.Previte Orton : p.250.
173. C.W.Previte Orton : Ibid, p.250.
174. G.Ostrogorsky : op.cit p.180, M.V.Anastos : op.cit p.89.
175. G.Ostrogorsky : Ibid p.180, M.V.Anastos : Ibid p.89.
176. G.Ostrogorsky : Ibid, p.180.

وهنا يقال أن بطريرك القسطنطينية عهد باتمام هذا الزواج الى قسيس يسمى جوزيف .

(M.V.Anastos : Ibid, p.89)

177. Chronique de Michel le Syrien, T.111 p.9.



لا تزال على قيد الحيـــاة » وذلك على حد تعبير ابن العبـــرى (١٧٨) . وبذلك التصرف أيضـــا انتهك قنسطنطين كل القوانين الدينية بل أشـــير اليه بأنه « الامبراطور الزانى » (١٧٩) .

بدأ الديريون المتطرفون يعارضـــون ذلك التصرف المشين وكان على رأسهم « أفلاطون Plato" رئيس دير سكاديوم » المشهور وأبناء أخيه ثيودور وجوزيف، عندئذ شهدت القسطنطينية صراعا شديدا بين الديرين المتطرفين وبين البطريرك طرســـيوس ، وذلك لموقف البطريرك من الامبراطور (١٨٠) .

وقد حاول قنسطنطين فى أول الأمر التغلب على تلك المعارضـــة بالهدوء وتمالك الأعصـــاب حتى أنه زار شخصيا دير رهبان سكاديوم ، وبالرغم من اهاناتهم الجارحة له ، الا أنه أجاب عليهم بقوله « انه لا ينوى أن يجعل منهم شهداء » (١٨١) . لكن باستمرار رجال الدين فى المعارضة نفذ صبر قنسطنطين واســـتخدم منتهى القســـوة فى التنكيل بهم وزج بأفلاطون فى السجن ونفى بقية الديريين بما فيهم أبناء أخيـــه الى

178. The Chronography of Bar Hebraeus. v.1 p.120.
179. G. Ostrogorsky : op. cit., p. 180.
180G.Ostrogorsky : Ibid : p.p.180 — 181.

(١٨١) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

سالونيك (١٨٢) ٠ ولذلك تسبب طيش قنسطنطين وتهوره ، الى جانب خيانته وقسوته فى فقدان تأييد كلا من الحزب الارثوذكسى الحاكم وحزب المعارضة اللا أيقونى ، وبذلك « أصبح من الممكن فى ذلك الوقت الاطاحة به دون أن يتحرك أى بنان لتأييده » (١٨٣) ٠

هنا يجب أن تكون لنا وقفة قصيرة لنشير فيها الى أنه كان من الممكن أن يعالج طيش وخيانة وقسوة الامبراطور قنسطنطين السادس بسهولة ولمصلحة شعبه ورجال دينه ، لو كانت أمه ـ والوصية عليه منذ بداية حكمه ـ ايرين عضدته ووقفت الى جانبه وقفة الأم أولا ثم الامبراطور المساعد ثانيا ٠ لكن ما كان يدور فى خلدها هو كرسى العرش أولا ثم تجسيم أخطاء ابنها لا القضاء عليها ثانيا لتثبت للجميع عدم قدرته على قيادة شعبه ٠ والواقع أننا نعجب كيف طمعت بعد ذلك كله فى عرش وجاه وسلطان ستكون مسئولة عنه أمام الله ، وهى لم تستطع جمح عصبيتها ضد ابنها ٠

لقد استفادت ايرين من غضب وثورة الرأى العام ضد ابنها ووجهت ذلك كله لمصلحتها الخاصة ٠ ففى أثناء تغيب الامبراطور فى حمامات بروسا خارج القسطنطينية دبرت ايرين المرحلة الأخيرة من مؤامرتها

---

182. M.V.Anastos : op.cit p.89.
183. G.Ostrogorsky : op.cit p.181.



لاسترجاع السلطة (١٨٤) ٠

ففى ١٥ أغسطس ٧٩٧ م (١٨٥) / ١٨١ هـ دبرت ايرين آخر خيوط مؤامرتها بمقدرة عظيمة وثبات (١٨٦) ٠ فوفقا لأوامرها قبض على قنسطنطين السادس وفى نفس الحجرة الارجوانية التى ولد فيها قبل ذلك بسبع وعشرين عاما سملت عينيه تنفيذا لأمر أمه (١٨٧) ٠ وقوضت بذلك العمل الفظيع كل مشاعر الامومة (١٨٨) ٠ وكان العزاء الوحيد الذى تبقى لقنسطنطين هو أن زوجته أو عشيقته ثيودوت رغبت فى البقاء معه فسمح لها بذلك ، وبذا عاشا معا باقى حياتهما بعيدا عن السياسة (١٨٩) ٠

واذا كان المصدر الغربى أشار بشىء من التفصيل الى تلك الحادثة كما مر بنا ، فاننا نجد أن المصدر العربى أشار اليها بشىء من الايجاز فقد ذكر الطبرى

---

184. L.Bréhier : op.cit p.92,
عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥
185. .Ostrogorsky : op.cit p.181. M.V.Anastos : op.cit p.89.
هنا يذكر لويس هالفين أن ذلك كان فى شهر يوليه ، لكن الراجح انه كان فى منتصف أغسطس
L.Halphen : op.cit p.311
186. Diehl : op.cit p.78.
187. G.Ostrogorsky : op.cit p.181, L.Bréhier : op.cit p.p.92-93, M.V.Anastos : op.cit vol.1 p.89,Diehl : op.cit p.77.
188. Larousse Encyclopedia . . . . . . . . . . op.cit p.273.
(١٨٩) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٥ ٠

وابن الأثير مثلا ضمن حوادث ١٨٢ هـ « وفيها سملت الروم عينى ملكهم قنسطنطين بن أليـون (١٩٠) . والجديد هنا هو تفسير المصدر العربى لسبب سمل ايرين لعينى ولدها حيث يقول ابن الأثير فى موضع آخر « لما كبر ابنها قسطنطين أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له ، فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ فكحلته أمه (١٩١) » .

والواقع أنه قد تبين لنا من العرض الســابق أن قنسطنطين منى بهزائم أمام كل من العرب والبلغـار ٧٩١ م (١٩٢) / ١٧٥ هـ . لكن الراجـح أن موقفه الغير بطولى أمام البلغار ٧٩٢ م / ١٧٦ هـ كان أكثر اثارة لاشمئزاز قواته نفسها (١٩٣) . قبـل أمه . بل اننا ربما نكون أقرب للحقيقة اذا سـلمنا برأى ميخائيل السريانى وابن العبرى هنـا عندما اعتبرا السبب المباشر لسمل عينى قسطنطين هو ما نقله أمراء الجيش المصاحب له فى حرب البلغار لأمه من أنه بعد أن تقدم الى تراقيا « استسلم للفسق والفجور وادمان الخمر » لذا وعدتهم أمه ايرين بأنها ستوقفه عن الحكم

(١٩٠) الطبرى : تاريخة ، جـ ٨ ، حوادث ١٨٢ هـ ص ٢٦٩ ، ( طبعة دار المعارف ، من سلسلة ذخائر العرب ) ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦١ .

(١٩١) ابن الاثير : جـ ١ ، ص ٣٣٦ .

192. G.Ostrogorsky : op.cit p.180, M.V.Anastos : op.cit p.88.

193. G.Ostrogorsky : Ibid p.180.



لذلك ففور وصوله الى بيزنطة سلمت عينيه (١٩٤) . لذا لايمكن أن نعتبر هزيمة قنسطنطين أمام الرشيد هى المحرك الوحيد لأمه لأنه لابد أن نأخذ فى اعتبارنا أيضا كل الظروف الغربية بل والداخلية فى بيزنطة نفسـها آنذاك .

والحقيقة ان كل ما علق به رجال الدين فى بيزنطة على تلك الجريمة التى صدرت من أم نحو ولدها ، هو أنه مجرد عقاب عادل ضد امرأة خاطئة وامبراطور آثم ، وان ذلك كان تحقيقا لعدالة السماء ... بل ان معاصرى ايرين اغتفروا لها تلك الجـريمة وغيـرها بسبب ما اعتبروه من تقواها وورعها الدينى ونجاحها فى اعادة الأيقونات (١٩٥) .

وقبل أن نسترسل فى سرد أحداث حكم ايرين نتوقف قليلا مع حادثة سمل عينى قنسطنطين والاطاحة بحكمه هنا نعود بالتـاريخ الى الوراء فنجـد حـادثة قريبة الشبه من حادثتنا هذه وهى التى تشـير الى كيفية تخلص الامبراطور قنسطنطين العظيم ( ٣٠٦ –

194. Chronique de Michel le Syrien. T.111, p.12, The Chronography of Bar Hebraeus, v.1 p.120.

وهنا يضيف ابن العبرى شيئا اخر زاد من كره الامراء ونبلاء القسطنطينية لقنسطنطين السادس وهو « أنه أخذ بنات النبلاء وأغواهم »

(١٩٥) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥ – ١٢٦ .

٣٣٧ م ) من ابنه كرسبوس والتى يفصلها لنا ( جيبون ) وموجزها « أن كرسبوس وهو ابن قنسطنطين من زوجته الأولى منرفينا عندما بلغ السابعة عشرة من عمره خلع عليه لقب قيصر وعهد اليه بادارة ولايات الغال فبرزت بسالته المبكرة فى الحرب الأهلية التى شبت بعد ذلك واستحق الشاب تقدير الحاشية والجيش والشعب ، وتعلقوا به جميعا ٠٠ بل تعلقوا بالأمل غير المحدد فى هناءة خاصة وعامة ينعمون بها على عهده ، وسرعان ما أثارت هذه الشعبية المحفوفة بالخطر انتباه قنسطنطين الذى ضاق ذرعا بوصفه أبا وملكا معا ٠ وكان القيصر الشاب محوطا بزمرة من الأتباع المتهورين الذين أمعنوا فى الدأب على اذكاء نار الحقد السافر فى نفسه ، ان لم يكونوا قد دسوا عليه للغدر به ٠٠ عندئذ أصدر قنسطنطين مرسوما يفصح فيه علنا عن شكوكه فى مؤامرة تدبر ضده وضد حكومته وأغرى من يعرف شيئا عنها بالمكافآت العظيمة ٠ وهنا تقدم الوشاة بايغار صدر الوالد على ولده وأتباعه ٠٠ وعندما حل الاحتفال العظيم بذكرى مرور عشرين عاما من حكم قنسطنطين ، والذى أقيم فى روما ، اختفت لبرهة وجيزة تحت أستار المراسيم والرياء أبشع خطط الانتقام والاغتيال وقبض فى غمرة الاحتفال على كرسبوس بأمر من الامبراطور ، الذى تخلى عن حنان الأب دون أن يتحلى بعدالة القاضى ٠ وكانت المحاكمة



قصيرة سرية ، ولما رؤى أنه من الأليق اخفاء مصير الأمير الشاب عن أعين الشعب الرومانى ، فقد أرسل تحت حراسة قوية الى بولا فى استريا ـ حيث أعدم فور وصوله بيد الجلاد أو بطريقة أخف أى بالسم ٠ لكن بمجرد أن يكتشف الوالد المنكوب بطلان الاتهام ، وأن زوجته الثانية فاوستا كانت وراءه ، حتى ينشر على العالم ندمه وتأنيب ضميره ويلبس الحداد أربعين يوما ، انقطع فيها عن ملاذ الحياة العادية ٠ ولكى يشهد الأجيال المقبلة على ذلك أقام لكرسبوس تمثالا من الذهب نقش عليه عبارة تذكارية « الى ولدى الذى أعدمته بغير حق » (١٩٦) ٠

حقيقة وجدت القسوة فى الحادثتين ، لكن شتان بين ندم قنسطنطين على فعلته ، رغم ما قيل عن أنه لم يعتنق المسيحية الا وهو على فراش الموت (١٩٧) ،

---

(١٩٦) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ج ١ ، ص ٥٣٧ : ٥٤٢ ٠

(١٩٧) أخذ الامبراطور قنسطنطين بسياسة الامر الواقع فأصدر مرسوم ميلان ٣١٣ م معترفا بوضع الديانة المسيحية كاحدى الشرائع المصرح باعتناقها داخل الامبراطورية ( عن Glover ) وقد اختلفت اراء الباحثين حول الحافز الذى دفع قنسطنطين الى اصدار مرسوم ميلان السابق وهل جاء صدور هذا المرسوم عن عقيدة صادقة وايمان بالمسيحية أم هو مجرد اجراء سياسى اتخذه قنسطنطين لتحقيق مآرب خاصة ٠ والواقع أنه توجد أدلة كثيرة تثبت ايمان قنسطنطين بالمسيحية كما توجد أدلة أخرى عديدة توضح استمرار اعتقاده في الوثنية ٠ ( عن Ostrogorsky ) ذلك أن عدد المسيحيية عندئذ لم يتجاوز عشر مجموع سكان الامبراطورية ، الامر الذى يؤيد الرأى الاول بأن =

وبين موقف ايرين بتقواها التى حاربت من أجلها فى كل الجبهات !!

نعود مرة أخرى الى ايرين فنجدها حققت غاية ما كانت تتمناه (١٩٨) ، بأن أصبحت الحاكم الأوحد لبيزنطة (١٩٩) . بل الامبراطور الرومانى الأوحد (٢٠٠) . وبذلك كانت أول امرأة تتولى العرش البيزنطى بمفردها (٢٠١) . وذلك لمدة خمس سنوات ٨٩٧ _ ٨٠٢ (٢٠٢) .

---

=

قنسطنطين اتخذ قراره عن شعور دينى لا بدافع المصلحة السياسية ( عن Vasiliev ) أما عن حياته الخاصة فان قتل قنسطنطين لزوجته وولده يدل على أنه لم يتأثر اطلاقا بتعاليم المسيحية وأخلاقها . وهكذا يمكن القول بان قنسطنطين ظل حتى أواخر حياته وثنيا مع الوثنيين واثناسيوسيا مع الاثناسيوسين وأريوسيا مع الاوريوسيين ( عن Cam. Med. Hist. ) وفى ٣٣٧ م توفى قنسطنطين بعد أن تم تعميده على فراش الموت وفق مبادىء المذهب الاريوسى . ( سعيد عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى . ص ٣٦ _ ٣٧ _ ٣٨ _ ٤٢ ) .

198. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 181.
199. Chronique de Michel le Syrien, T. III, p. 12, G. Ostrogorsky : Ibid, p. 181, Hamlyn : The Medieval and renaissance world p. 16, L. Halphen: Op. cit., p. 245.
200. L. Brehier : Op. cit., p. 93.
201. G. Ostrogorsky, p. 181, M.V. Anastos : Op. cit., p. 89, Diehl : Op. cit., p. 78, L. Halpen p. 311.
عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٩ .
202. M.V. Anastos, Ibid., p. 89, Bréhier: p. 93, L. Halphen: p. 312,
عبد القادر أحمد : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٩ .



والجدير فى الأمر هنا هو أنها تولت العرش بلقب امبراطور (Basileus-Emperor) (٢٠٣) وفى زى وهيئـــة امبراطـــور (٢٠٤) ، وبكل ســـلطان الامبراطور (٢٠٥) . وبذلك كانت أول امبراطور أم فى رأينـــا .

حقيقـــة ســـبقتها كثيـــرات مثل ( بولكيريا ) Pulchérie (٢٠٦) ، فى تحمل أعبـــاء السلطة عن أزواجهن ولكن لم تنفرد احداهن بها (٢٠٧) . فايرين فى تلك المرة لم تحكم كوصية لامبراطور قاصر أو غيـــر كفؤ للحكم ، بل حكمت بمفردها فى وقت ارتبطت فيـــه وظيفة الامبراطور ـ وفقا لأقوال الرومان ـ بوظيفـــة القيادة العسكرية العليا ، لذلك كان اقتحام المرأة لتلك الوظيفة مجالا لكثير من التساؤلات (٢٠٨) .

---

203. Bréhier : Ibid., p. 93, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 181. C. W. Previte Orton : p. 250, Larouse Encyclopedia, p. 273. عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦
204. Bréhier : Ibid., p. 93, Larouse Encyclopedia, p. 273.
205. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 353.

(٢٠٦) بولكيريا هى أخت الامبراطور ثيودوسيوس ، ظلت تحـــكم الامبراطورية الشرقية قرابة الاربعين عاما طوال الفترة التى كان فيها أخوها قاصرا وبعد وفاته وذلك باسمها وباسم ماركيانوس الذى كان زوجها بالاسم فقط .

( ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ )

207. Bréhier : Op. cit., p. 93.
208. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 181.

لكن الى أى مدى حقـــق حـــكم ايرين بمفردها النجــاح ؟

بالنسبة للداخل نجد أنها منذ اللحظة الأولى افتتحت حكمها المنفرد بمؤامرة أخرى ٧٩٧ م / ١٨١ هـ حيكت حول أبناء قنسطنطين الخامس الذين كانت قد نفتهم الى أثينا ، بل انها اضطرت فى ٧٩٩ م / ١٨٣ هـ الى سمل أعين أربعة منهم ، الى جانب شركائهم ، نتيجــة لتآمر السلاف ومحاولتهم اختيار امبراطور جـديد من بين هؤلاء المنفيين (٢٠٩) .

وقد أرادت بعد ذلك أن تكفر عن جرائمها وتزيد من شعبيتها فاستدعت الرهبان المنفيين بواسطة ابنهـــا قنسطنطين ، وأقرت ثيودور وأتبــاعه فى ديرستوديو ثم أعلن قرار الحرمان والعزل ضد القسيس جوزيف الذى كان قد أتم مراسيم الزواج الثانى لقنسطنطين وذلك بواسطة المجمع البطريركى (٢١٠) .

والواقع أن الرهبان السعداء بما آلت اليه الأحداث مجدوا امبراطورتهم التقية المحسنة التى أغدقت عليهم

209. G. Ostrogorsky : Ibid. p. 192. M.V. Anastos : Op. cit., p. 89. Bréhier : Op. cit., p. 94.
210. L. Bréhier : Ibid., p. 93.



المنح بسخاء (٢١١) . وبذلك أصبح تأييد الرهبان يمثل حجر الزاوية فى شـــعبية ايرين (٢١٢) كذلك حاولت ايرين زيادة شعبيتها عن طريق آخــر وهو تخفيض بعض الضرائب والغاء بعضها عن ســكان القسطنطينية (٢١٣) .

أفقر استهتار ايرين الحقيقى خزانة الدولة (٢١٤) وذلك لتناقص الدخل عن احتياجات الدولة ، بل ان ذلك الاسراف أرهق ميزانية الدولة البيزنطية وماليتها التى كانت فى نفس الوقت هى مصدر قوتها . لذلك أصبح وضع الدولة المالى فى اضطراب عظيم .

لكن على الرغم من ذلك فالجميع لا ينكرون أن ايرين قد اهتمت بالفنون والآداب الى جــانب أنها شجعت التجارة بسبب تخفيض الضرائب (٢١٥) .

أما فى داخل القصر فقد كان الجـــو خانق ملىء بالمؤمرات والدسائس (٢١٦) ، كانت ايرين نفســها

211. C.W. Previte Orton : Op. cit. V. 1. p. 250.
212. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 181.
213. M.V. Anastos : Op. cit., p. 89. Larouse Encyclopedia. p. 273.
214. L. Bréhier : Op. cit., p. 93.
215. Larouse Encyclopedia : Op. cit., p. 273.
216. M.V. Anastos : Op. cit., pp. 89-90.

مريضـة ، فانتهز وزيريها البــارزين ستوراقيوس وأيتيوس الفرصة وحاك كل منهما المؤمرات ضـد الآخر ولكنهما لم يستطيعا الوصول للعرش لأنهما من الخصيان (٢١٧) · وفى احدى تحركات ستوراقيوس ضد أيتيوس فى كبادوكيا توفى الأول حوالى ٨٠٠ م أو ٨٠١ م نتيجة لمرض الكوليرا ، ثم اكتشفت محـاولة أيتيوس لنقل العرش لأخيه ليو مما تسبب فى القضاء عليه بعد ذلك بعامين ·

أما بالنسبة للخـــارج فالحقيقة أن تتويج ايرين امبراطورا بمفردها أعطت لمنافسى بيزنطة الذين لم يعيبوها من قبل الفرصة كى يضاعفوا نشاطهم ، لكن رغم ذلك لم يتمكن أيا منهم أن يتدخل فى شئونها اسميا ولا فعليا عن طريق القوة المسلحة (٢١٨) ·

والحقيقة اننـــا حين نتناول الشئون الخـــارجية لبيزنطة فى فترة حكم ايرين من ٨٩٧ ــ ٨٠٢ م نركـز على نقطتين هامتين : أولهما العلاقة بالعرب وثانيهما العلاقة بشارلمان ·

فمن ناحية العرب وفى أيام هارون الرشيد قوى

217. M.V. Anastos : Ibid., p. 90, Bréhier : Op. cit., p. 94.

218. L. Halphen : Op. cit., p. 245.



الهجوم الاسلامى على حـدود الدولة البيزنطية فى المنطقة الجنوبية الشرقية وتوغلت الغزوات الاسلامية فى آسيا الصغرى بل انهم حصنوا ثغر طرسوس على الحدود « مما دفع الامبراطورة ايرين الى شراء مسالمة الرشيد بدفع ضريبة ٧٩٨م / ١٨٢ هـ (٢١٩) والراجح أن تلك المعاهدة تمت سنة ١٨٧ هـ استنادا الى ابن الأثير (٢٢٠) بتجديد دفع ضريبة ٧٨١ م / ١٦٥ هـ الباهظة (٢٢١) ·

والواقع أن حنكة ايرين السياسية هى التى دفعتها الى توقيع مثل تلك المعاهدة ، فبدلا من أن تهاجم فى عقر دارها وهى فى مستهل حـكم جلست فيـه على عرش يحيط به جو ملىء بالمؤامرات فضلت أن تتفرغ لشئونها الداخلية وتكسب بشتى الوسائل شعبيتها كى توطد أقدامها على الأرض البيزنطية قبل أن تفكر فى الخروج الى أى مسرح خارجى · والحقيقة أنها كانت تشعر تماما أنها ستخسر أية جولة فى مواجهة الغـزو العربى المتقدم لذا فضلت أن تدفع ثمنا باهظا لذلك

219. L. Bréhier : Op. cit., p. 93, Diehl : Op. cit., p. 78.

(٢٢٠) وهنا يذكر ابن الاثير ما نصه « فى سنة ١٨٧ هـ دخل القاسم بن الرشيد ارض الروم فى شعبان ، فأناخ على قره وحصرها ، ووجه العباس بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان ، حتى أجهد أهلها ، فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين على أن يرحل عنهم ، فأجابهم ورحـل عنهم صلحا » · ابن الاثير الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٤ ·

221. L. Bréhier: Op. cit., p. 93, Diehl : op. cit., p. 78.

التقدم بدلا من الدخول فى جولة خاسرة / وهذا هو ما سيتضح لنا فيما بعد عندما تولى نقفور العـــرش بعدها وبعث برسالته المشهورة الى الرشيد قائلا : «ان الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق (٢٢٢) · فحملت اليك من أموالها وذلك لضعف النساء وحمقهن ·· » الى آخر تلك الرســالة التى ما أن قرأها الرشيد حتى « اشـــتد غضبه وتفـرق جلساؤه خوفا من بادرة تقع منه » وما كان من الرشيد الا أن كتب على ظهر نفس الرسالة « من هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قرأت كتـــابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه» · وتقدم توا الى بلاد الروم يقتل ويســـبى « وذل نقفـــور وطلب الموادعة على خراج يحمله كل سنة فأجابه (٢٢٣) ·

– وبذلك جنبت ايرين نفسها هزيمة يتبعها جـــزية وسارعت منذ البداية لدفع الجزية السنوية حتى تنتهى من توطيد جبهتها الداخلية ثم تتفرغ بعد ذلك للشئون الخارجية · –

---

(٢٢٢) الرخ : طائر وهمى كبير · والبيدق طائر من الجوارح فى حجم الباشق والباشق طائر من أصغر الجوارح · ( المنجد فى اللغة والاعلام – دار المشرق بيروت ) ·

(٢٢٣) ابن الاثير : الكامل : ج ٦ ص ١٨٥ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ، ص ١٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ج ١ ، ص ٢١٢ ، اليافعى : مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٤٠٣ ·



أما العلاقة بشارلمان فى تلك المرحلة ، فما أن تحل سنة ٨٠٠ ميلادية (٢٢٤) ١٨٣ هـ حتى تفاجأ الدولة البيزنطية بل العالم أجمع بتتويج شارلمان امبراطورا للغرب · ولما لذلك الحادث من مدلولات كثيرة سنحاول أن نتناوله بشيء من التفصيل ·

فوفقا لتعبير ( جيمس بريس James Bryce « لا يعتبر تتويج شارلمان امبراطورا الحادث البـــارز المهم فى تاريخ العصور الوسطى ، بل انه بدون حدوثه كان من الممكن أن يتغير تاريخ العالم » · وبالنسبة للناس فى العصـــور الوسطى كانت الامبراطـــورية الرومانية امبراطورية موحدة لا تتجزأ · وعنـــدما كان يتواجد أكثر من امبراطور ، كان ذلك أشـــبه بتعدد السادة الحكام فى دولة واحدة موحدة (٢٢٥) ·

لكن بمرور الزمن أصبحت فكـــرة الامبراطورية الموحدة مجرد (مفارقة تاريخية) (٢٢٦) · ولقد لعب الاتجاه اللاأيقونى لبعض أباطرة بيزنطة دورا فعـــالا على موقف البابوية مما جعلها تصدر قرار الحـــرمان ضد اللاأيقونيين ثم تتجه ناحية الغرب ، على أمـــل الحصول على المساعدة والحماية من مملكة الفرنجة

---

224. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 351.
225. A.A. Vasiliev : **Op. cit., p. 351**
(J. Bryce : The Holy Roman Empire)
226. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 351.

التى اعتلى عرشها فى نهاية القرن الثامن الميلادى ، أشهر رجال الكارولنجيين شـــارل العظيم (٢٢٧) . توج يوم عيد الميلاد ٢٥ ديسمبر سنة ٨٠٠ م / ١٨٣ م امبراطورا فى كنيسة القديس بطرس بيد البابا ليـو الثـالث (٢٢٨) .

وبذلك تم احياء الامبراطورية الرومانية الغـربية المقدسة وأصبح شـــارلمان بموافقة البابا ومباركته خليفة القياصرة الاقدمين (٢٢٩) .

وبمعنى آخر أصبح شارلمان « السيد الأوحـــد ومكمل لسلسلة الأباطرة فى الامبراطورية الرومانية الموحدة » (٢٣٠) وبذلك أخذت روما من القسطنطينية حق اختيار الامبراطور ، الذى كان يمثل ظل الله فى الأرض (٢٣١) .

---

277. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 352.
228. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 352. M.V. Anastos : Op. cit., p. 90

(٢٢٩) مقدمة المترجم د. جوزيف نسيم لكتاب ل ـ م هارتمان و ج باراكلاف : الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ص ٣٧ . عن ( هـ . و ك . ديفز : شارلمان . سعيد عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ص ١٦٢ عن [Bryce]
La Monte, Downs, Basic Documents in Medieval History. Davis : Hist. of Medieval Europe.]
230. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. 353.
231. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 353, عن [Gasquet : L'Empire Byzantine et la monarchie Franque.]



أوجد قيام شارلمان منافسا خطيرا للامبراطـور البيزنطى ، وحرم الامبراطورية البيزنطية من كـل سيطرة تدعيها على البابوية والعالم الغربى . هذا الى أن تتويج شارلمان لم يجعل منه الامبراطور الأساسى فى الدولة الرومانية ، لأن الامبراطورية ـ من وجهة النظر السياسية فى العصـور الوسطى ـ لا تحتمـل رأسين ، مثلها مثل البابوية . وفى هذه الحالة يصبح شارلمان صاحب الكفة الراجحة لأنه امبراطور الكنيسة الرومانية ، وهى الكنيسة العالمية التى تتخـذ روما مركزها (٢٣٢) .

والحقيقة أن تتويج شارلمان امبراطور لم يضف اليه أية حقوق جديدة فقد ظل كمـا كان من قبـل « ملك الفرنسيين واللمبارديين (٢٣٣) » .

أما شارلمان فكان يعتبر نفســه خليفة أباطـرة القسطنطينية الشرعيين ، اذا أخذنا فى الاعتبار نظرته ونظرة المؤرخين الغـربيين الى عرش القسطنطينية واعتباره خاليا من امبراطور ، لرفضهم الاعتـراف بايرين ( كامبراطور ) كما اعتبرت نفسها (٢٣٤) .

---

(٢٣٢) سعيد عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ص ١٦٤. عن [W. Sickel]
233. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 352.
234. M.V. Anastos : Op. cit., p. 90, G. Ostrogorsky, p. 186.

وكان يؤيدهم فى هذا الرأى البابا ليو الثـــالث الذى لم ينس لايرين وراثة بطرس فى سلطته الزمنية على العالم المسيحى (٢٣٥) · لكن ماذا كانت نظـرة بيزنطة لتتويج شارلمان ؟

لقد اعتبرت الامبراطورية البيزنطية تتويج شارلمان مجرد حركة ثورية من الحركات العديدة التى قامت ضد السلطة الشرعية (٢٣٦) ، وبمعنى آخر اعتبرت مراسيم التتويج التى تمت فى كنيسة القديس بطرس مجرد « ملهاة هزلية غير جديرة بالاحترام » (٢٣٧)·

والواقع أن تأسيس امبراطورية أخرى فى الغــرب أثارت عوامل الحقد والبغضاء بين الامبراطوريتين بسبب تشابك مصالحهما ، وبخـاصة فى الجنـــوب الايطالى ·

ولقد كانت بيزنطة تنظر الى المنافس الغربى فى أنفة وازدراء وكبـــرياء · فهو فى نظـــرها « دون الامبراطور البيزنطى مكانة بل هو ليس امبراطورا ، ولا هو رومانيا وانما مجرد ملك جرمانى » (٢٣٨)·

(٢٣٥) عبد القادر أحمد يوسف : العصور الوسطى الاوروبية ، ص
236. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 354.
237. L. Halphen : Op. cit., p. 249.
(٢٣٨) مقدمة المترجم د· جوزيف نسيم لكتاب هارتمان و ح باركلاف: الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ·



شعرت ايرين أنها أمام منافس لا يســتهان به · فاعتقدت أنه سيحاول انتزاع بقية أراضـــيها ، لذلك فعندما سرت شائعة عن قرب رسو بعض قطع الأسطول الفرنسى بصقلية · أخذت ايرين من جانبها « تستعد لمنافسة ملك فرنسا كعدو » (٢٣٩) ·

هنا بدأ شارلمان يفكر بامعان فى طبيعة الوضــــع فى بيزنطة وأن تتويجه لن يحل مطلقا مسألة السـيادة فى الامبراطورية الشرقية ( البيزنطية ) وعــــرف أن البيزنطيون سيختارون بعد ايرين امبراطورا يــكون معروفا معرفة تامة فى الشرق · ولادراكه لعـــواقب الأمور افتتح شارلمان مفاوضات للزواج من ايرين ، مؤمـــلا من وراء ذلك توحيـــــــد أقاليـــم الشرق والغرب (٢٤٠) ·

وعلى ذلك اذا كان شارلمان قد فكر فى الزواج من ايرين فلقد كان هدفه سياسيا أيضــــا أراد من ورائه القضاء على عدم الاستقرار سواء فى الدولة البيزنطية أو فى مملكة الفرنجة نفسها وذلك بجمـــع شــــمل المتنافسين فى زيجة واحدة (٢٤١) ·

ووسط شك الكثيرون من أن تتمكن امرأة من تولى

239. L. Halphen : Op. cit., p. 249.
240. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 355.
241. L. Halphen : Op. cit., p. 249.

منصب امبراطور (٢٤٢) اعتقد شارلمان أنه باتمام ذلك الزواج السعيد سوف تتم وحدة جزأى الامبراطورية الشرقى والغربى ، تلك الامبراطورية التى ظل ينظر اليها على أنها وحدة واحدة لا تتجزأ (٢٤٣) ٠

والحقيقة أن الامبراطورة ايرين لم تكن تمانع فكرة الزواج التى أيدها كل من شارلمان والبابا ليو الثالث بل على العكس تلقتها بترحاب (٢٤٤) ٠ ذلك الزواج الذى كان من الممكن أن يبدل مجرى التاريخ (٢٤٥) ٠ ولكن لم يقدر لذلك الزواج أن يتم فما أن وصل مبعوثى الامبراطور شارلمان والبابا الى القسطنطينية لانهاء مراسيمه ، حتى قامت ثورة فى القسطنطينية نظمها بعض أصحاب الرتب العالية فى الدولة وذلك فى ٣١ أكتوبر ٨٠٢ م (٢٤٦) / ١٨٦ هـ أطاحت بحكومة ايرين ونادت بنقفور وزيرها الأول والمسئول السابق

---

242. Hamlyn : The Medieval and renaissance world, p. 16.
243. M.V. Anastos : Op. cit., p. 90 [Theophanes] عن
244. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. 1, p. 355, M.V. Anastos : Op. cit., p. 90.
245. M.V. Anastos : Ibid., p. 90.
246. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 186, C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 251, L. Bréhier : Op. cit., p. 94.



عن خزانة الدولة امبراطورا (٢٤٧) ٠ وهنا اختلفت الآراء عن موقف ايرين من اختيار نقفور ملكا للروم فبينما يذكر ابن العبرى أن ايرين حاولت كحله أولا - عندما سمعت عن رغبة الروم فى اختياره ملكا عليهم - ولكن مساعد أيتيوس خبأه ٠ ثم حاولت قتله بعد اختياره امبراطورا (٢٤٨)، نجد هناك رأى يذكر أن ايرين نفسها أيدت هذا الاختيار بل وطلبت من الثوار تعيين نقفور امبراطورا وذلك لكى تضيع على أيتيوس - وزيرها الخصى - فرصة اختيار أخيه ليو امبراطورا (٢٤٩) ٠ والواقع أن تلك الثورة وضعت نهاية فى نفس الوقت لرغبة كل من ايرين وايتيوس فى السلطة (٢٥٠) ٠

أما ايرين فقد نفيت أولا الى جزر Princes ثم الى جزيرة لسبوس Lesbos حيث توفيت فى الأخيرة بعد فترة وجيزة فى ٩ أغسطس ٨٠٣ م (٢٥١)

---

247. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 186, L. Halphen : Op. cit., p. 249, L. Bréhier : Op. cit., p. 94.
وبتعبير ابن الاثير « كان قبل أن يملك يلى ديوان الخراج » ، ابن الاثير: الكامل ، ج ٦ ص ١٨٥ ٠
248. The Chronography of Bar Hebracus, V. 1, p. 120.
249. M.V. Anastos : Op. cit., p. 90.
250. L. Bréhier : Op. cit., p. 94.
251. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 186, L. Bréhier : Op. cit., p. 94, M.V. Anastos : Op. cit., p. 90.
وهنا يذكر الاخير أن نقفور وعد ايرين بأن يبقيها فى قصر =

والواقع أن الثورة ضد ايرين فتحت الباب على مصراعيه على الخراب والفوضى فى الدولة البيزنطية (٢٥٢) . وتولى نقفور الامبراطورية وهى فى حالة من الضعف أكثر من أى وقت مضى (٢٥٣) .
وهكذا انتهت فترة حكم ايرين سواء كوصية أو كامبراطور مساعد أو كامبراطور بما فيها من جوانب عظمة وفخر وجوانب أخرى مخزية تدعو للاشمئزاز . واذا كان مؤرخو عصر ايرين قد تعاطفوا معها فان هذا يرجع قبل كل شىء فى رأى البعض الى هباتها السخية التى أغدقتها عليهم (٢٥٤) .

ونحن نرى أنه اذا كنا قد اضفينا على ايرين لقب «الامبراطور الأم» فانها نجحت الى حد بعيد فى نواحى

---

= Eleutherius اذا أظهرت ما خبأته به من أموال الخزانة الملكية ولقد وافقت على طلبه . لكن ماضيها فى تاريخ المؤامرات كان معروفا بجلاء وبالفعل حاولت القيام بانقلاب ضد الدولة لذلك عوقبت بالنفى على النحو الذى ذكرناه انفا . أما ميخائيل السريانى وابن العبرى فيذكران أن نقفور أرسل ايرين منفية الى أثينا حيث توفيت هناك

Chronique de Michel le Syrien, T III, p. 13,
The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 120.

ويفصل ابن العبرى سبب نفى ايرين الى اثينا وتحويلها هناك الى راهبة ، أنها بعد اختيار نقفور امبراطورا حاولت الاستعانة ببعض الرهبان لقتله لكن المؤامرة اكتشفت ومن هنا نفاها نقفور الى اثينا .

252. Diehl : Op. cit., p. 79.
253. L. Halphen : Op. cit., p. 312.
254. Larouse Encyclopedia... p. 273.



كثيرة من حكمها ، فقد أعادت الأيقونات واحتفظت بروابط قوية بالبابوية وحمت الدولة من الخطر العربى الاسلامى بعقد هدنة ربما اعتبرت من الامور المخزية فى حق الامبراطورية فى عهدها ، لكنها فى رأينا تدل على حنكتها السياسية وتفهمها للاوضاع المحيطة بدولتها .

لكنها اذا كانت قد قدست لاعادتها الايقونات كما سبق أن ذكرنا فانها دخلت فى كثير من الصراعات الخارجية والداخلية حتى مع ابنها نفسه من أجل الوصول لهدفها . وأدى تحمسها الدينى هذا الى كثير من الاخفاق فى بعض الشئون العسكرية للامبراطورية .

أما مدى نجاحها كأم ، فالواقع أنها فى رأينا أخفقت تماما ، وهذا شىء لا يحتاج لتفصيلات أكثر مما قدمنا ، والا لما وصلت بأنانيتها وتعطشها الجامح للحكم والسلطة والنفوذ الى حد الحكم على ابنها بالعيش فى ظلام دامس بقية حياته لتنعم هى بنور الحكم وجبروته .

تم بحمد الله

# مصادر البحث

## ( أ ) المصادر العـــربية :

١ - **ابن الأثير الجزرى** : ( ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ) أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين : الكامل فى التاريخ ج ١ ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ج ٦ دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

٢ - ابن خردانبة : ( ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ) أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد .

٣ - **أبو الفدا** ( ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ) عماد الدين اسـماعيل صاحب حماه : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .

٤ - **ابن قيم الجوزية** : ( ٦٩١ - ٧٥١ هـ / ١٢٩١ - ٣٥٠ هـ ) شمس الدين أبو عبد الله محمـد بن بكر الزرعى الدمشـقى الحنبلى : أخبار النساء ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان . شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا .

٥ - **ابن الوردى** : ( ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م ) : أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس : **تتمة المختصر فى أخبار البشر** ج ١ دار المعرفة بيروت لبنان .

٦ - **اليافعى** : ( ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ) أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان عفيف الدين : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، جـ ١ .

## ( ب ) المراجع العربية والمعربة :

١ - ابراهيم على طرخان ( الدكتور ) : الحركة اللا ايقونية فى الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٢ - ادوارد جيبون : ١٧٣٧ - ١٧٩٤ م

اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ ١ نقله الى العربية محمد على أبو دره ، راجعه وقدم له أحمد نجيب هاشم ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، جـ ٢ نقله للعربية لويس اسكندر وراجعه أحمد نجيب هاشم .

٣ - سعيد عبد الفتاح عاشور ( الدكتور )

تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٢ .

٤ - السيد الباز العرينى ( الدكتور )

- تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ١٩٦٨ .
- الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٠ .



٥ - عبد القادر أحمد اليوسف ( الدكتور )

- الامبراطورية البيزنطية ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٩٦١ .
- العصور الوسطى الأوروبية ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ١٩٦٨ .

٦ - عمر كمال توفيق ( الدكتور )

تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ١٩٧٧ مطبعة الوادى .

٧ - ل.م. هارتمان ، ج باراكلاف . ترجمة الدكتور جوزيف نسيم ، الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٩٧٠ .

## ( جـ ) المصادر والمراجع الأجنبية :

1. **Amann (E.)** :
Histoire he l'Eglise, No. 6, l'époque Carolingienne, Paris 1947.

2. **Anastos (M.V.)** :
The Cambridge Medieval History Vol. IV. The Byzantine Empire, Part I: Byzantium and its Neighbours, Cambridge, the University Press, 1966.

3. **Bar Hebraeus** :
The chronography of Bar Hebraeus, Translated from the Syriac by Ernest A. Wallis Budge, Volume I, Oxford University Press, 1932.

4. Bréhier (L.)
Vie el Mort de Byzance, Paris 1947.

5. Diehl (C.)
Histoire de l'Empire Byzantine, Paris 1924.

6. Halphen (L.)
Les Barbares, troisième Edition, Paris 1936.

7. Hamlyn :
The Medieval and Renaissance world, General Editor Esmond wright.

8. Larousse Encyclopedia of Ancient and Medieval History. General Editor : Marcel Dunan, Foreword by Arnold Toynbee.

9. Michel Le Syrien :
Chronique de Micwel Le Syrien. Traduite en Français par J.B. Chabot. Tome II Fascicule 11. Paris 1902, Tome III. Paris 1905.

10. Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine state, Translated by Joan Hussy. Oxford, 1968.

11. Previte-Orton (C.W.) :
The Shorter Cambridge Medieval History, V. I Cambridge University, 1977.

12. The New Encyclopaedia Britannica. Vol. I.

13. Vasiliev (A.A.) :
Histoire de l'Empire Byzantin, T. I Editions A Picard— Paris, 1932.

14. Zananiiri (G.) :
Histoire de l'Eglise Byzantine, Nouvelles Editions Latines, Paris 1954.

# الإمبراطورة إيرين

تأليف
دكتورة علية عبد السميع الجنزورى
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية البنات - جامعة عين شمس

١٩٨١

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية